ولّما كان انصراف القوم عن سبيل الرّشد يتمثّل فى خطأين كبيرين وذنبين عظيمين فقد أشارت الآية الكريمة التّالية إلى هذين الذّنبين وما يترتّب عليهما من عذاب فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٤٧)

قال تعالى : ﴿ والّذين كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم . هل يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانوا يعملون ﴾ .

لقد كذّب الّذين صرف الله تعالى قلوبهم بآيات الله تعالى وكذّبوا بلقاء الآخرة وبيوم القيامة وبالبعث بعد الموت وبالحساب والجزاء . إنّ جزاء الّذى عمل هؤلاء معروف . النّار وبئس القرار . وبما أنّ القوم قد قاموا فى الحياة الدّنيا بأعمالٍ صالحةٍ بمقياس الإسلام ، ولّما كانوا مكذّبين بآيات الله تعالى وباليوم الآخر فقد أحبط الله تعالى ثواب أعمالهم الصّالحة لأنّها فقدت شرط الصّدق والإخلاص لربّ العالمين . إنّ ثمّة شرطين ينبغى توافرهما فى العمل كي يقبله الله تعالى بمنّه وفضله . الشّرط الأوّل أن يكون صوابًا وصالحًا بمقياس الإسلام . والشّرط الآخر أن يكون خالصًا لوجه الله تعال . ولّما كان القوم إنّما أرادوا بأعمالهم الصّالحة بمقياس الإسلام غير وجه الله تعالى فقد أحبطها الله عزّ وجلّ وجعلها هباءً منثورا . قال عزّ من قائل[1]: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورا ﴾ ولّما كان القوم إنّما ينالون جزاء ما كانوا يعملون فقد ختمت الآية الكريمة بتقرير هذه الحقيقة فى القول : ﴿ هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون ﴾ ﴿ وهل ﴾ حرف استفهام بمعنى النّفي[2] .

---

(١) سورة الفرقان ٢٣ .

(٢) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٥ / ٦٨ .

[١٦]

« اتّخاذ قوم موسى عليه السّلام من بعده العجل إلـهًا وغضب موسى الشّديد على قومه »

الآيـات (١٤٨ ـ ١٥٤)

وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

حينما كان موسى عليه السّلام يصوم الأربعين ليلةً ويقومها ويناجى ربّه جلّ وعلا كان بنو إسرائيل فى تلك الأثناء يعبدون العجل الّذى صنعه السّامريّ لهم من الذّهب فكان له خوارٌ . والعجيب أنّ بنى إسرائيل يعبدون العجل وهو ابن البقر الّذى يُضْرَب به المثل فى الغباء ، علمًا بأنّ ذلك المعبود لا يكلّمهم مطلقًا ولا يهديهم سبيلاً ، وهذا مِنْ باب الأَحْرَى ، فكانوا ظالمين بصرف العبادة عمّن يستحقّها وحده دون سواه جلّ وعلا . ولمّا سُقِطَ فى أيدى بنى إسرائيل وندموا ورأوا أنّهم قد ضلّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربّنا جلّ وعلا ويغفر لنا ذنبنا لنكوننّ من الخاسرين . والعجيب فى القول على لسانهم : ﴿ لئن لم يرحمنا ربّنا ويغفر لنا ﴾ تقديم طلب الرّحمة على المغفرة خلافًا للمعتاد وخلافًا لتقديم المغفرة على الرّحمة فى الآيتين الكريمتين الحادية والخمسين بعد المائة والثّالثة والخمسين بعد المائة فى هذا القسم . وكأنّ بنى إسرائيل الّذين أشركوا بعبادة العجل قد أدركوا أنّهم قد ارتكبوا أكبر ذنبٍ وكأنّ رحمة الله تعالى إن لم تتداركهم فإنّ الذّنب الكبير الّذى ارتكبوه والظّلم الّذى أتوه لن يغفره الله تعالى . والمعروف أن توبة الّذين عبدوا العجل تمّت عن طريق تمكين الّذين لم يعبدوا العجل من رقابهم كي يقتلوهم وكاد بنو إسرائيل يبيدون لو لم تتداركهم رحمة أرحم الرّاحمين . ولمّا رجع موسى عليه السّلام بعد المناجاة والكلام وأخذ التّوراة إلى قومه كان شديد الغضب والحزن لعبادتهم العجل. وكأنّ القول على لسانه عليه السّلام لبنى إسرائيل : ﴿ بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربّكم ﴾ ذو علاقةٍ بالقول عن موسى عليه السّلام فى الآية الكريمة الثّانية والأربعين بعد المائة : ﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأَصْلِح ولا تتّبع سبيل المفسدين ﴾ إنّ هارون عليه السّلام نهاهم عن عبادة العجل نهيًا شديدًا وقد ظنّ موسى عليه السّلام أنّ شقيقه هارون عليه السّلام قد قصّر فى واجبه

فألقى موسى عليه السّلام ألواح التّوراة وأمسك بشعر رأس أخيه بيده اليمنى فيما يقال وبلحيته بيده اليسرى ، وأخذ عليه السّلام يجرّ شقيقه هارون عليه السّلام إليه بقسوةٍ وعنف . وكي يخفّف هارون عليه السّلام من قسوة موسى عليه السّلام وكي يهوّن من غضبه الّذى يعلم أنّه لله تعالى ضرب هارون عليه السّلام على كلّ أوتار العاطفة أوّلاً ، العقل آخرًا . إنّ هارون عليه السّلام ينادى موسى عليه السّلام شقيقه ضاربًا على وتر الأمومة الشّديد الحنان والحنين ، مبيّنًا أنّ القوم استضعفوه أوّل الأمر وحينما خاصم وقاوم كادوا يقتلونه عليه السّلام . إنّ موسى عليه السّلام إذا استمرّ موقفه من هارون عليه السّلام كما هو فإنّ الأعداء لموسى وهارون وللمؤمنين بعامةٍ سوف يشمتون بهارون عليه السّلام ويسرّون بما فعله موسى عليه السّلام به ، وكأنّ موسى عليه السّلام بسبب ذلك يجعل هارون عليه السّلام مع القوم الظّالمين . وبطبيعة الحال لا يرضى أيّ عاقلٍ بشيءٍ من ذلك فكيف بموسى عليه السّلام الّذى بادر إلى الاستغفار له ولهارون عليهما السّلام وإلى الطّلب من أرحم الرّاحمين أن يدخلهما فى رحمته جلّ وعلا . ويهدّد السّياق الّذين اتّخذوا العجل إلـٰهاً بأنّهم سينالهم غضبٌ من ربّهم جلّ وعلا وطردٌ من رحمته عزّ وجلّ وذلّةٌ فى الحياة الدّنيا وهوانٌ وصَغار . إنّ فى مثل هذه الطّريقة يجزى الله تعالى المفترين على الله تعالى الكذب بنسبة الشّريك إليه جلّ وعلا . أمّا الّذين يعملون السّيّئات ثمّ يتوبون ويؤمنون ويعملون الصّالحات فإنّ ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم من بعد ذلك لغفورٌ رحيم .

الآيـــة رقـــم (١٤٨)

قال تعالى : ﴿ واتّخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عِجْلاً جسدًا له خُوار . ألم يروا أنّه لا يكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً . اتّخذوه وكانوا ظالمين ﴾.

تبيّن استعداد بنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام للتّورّط فى الشّرك حينما طلبوا من موسى عليه السّلام أن يجعل لهم إلـهًا على غرار الآلهة الّتى يعكف عليها الّذين صادفهم بنو إسرائيل يعبدونها حينما وطئت أقدام بنى إسرائيل للوهلة الأولى برّ الأمان بعد أن أهلك الله تعالى فرعون وملأه . لقد كانت ثورة موسى عليه السّلام على قومه عارمةً وكان المظنون أن يستفيد بنو إسرائيل من هذا الدّرس القاسى وأن يفردوا الله تعالى بالعبادة . والعجيب فى القوم أنّهم خلال الأربعين يوماً الّتى ذهب فيها موسى عليه السّلام إلى ميقات ربّه جلّ وعلا للمناجاة قد اتّخذوا العجل إلـهًا بإضلال السّامريّ لهم على نحو ما تبيّن بالتّفصيل من الآيات الكريمات ٨٣ ــ ٩٨ من سورة طه . والعجيب فى القوم أنهم اتّخذوا العجل ، وهو ولد البقرة[١] إلـهًا يشركونه مع الله تعالى فى العبادة رغم نهي هارون عليه السّلام الشّديد لهم ورفضهم نهيه عليه السّلام لهم إلى الحدّ الّذى كادوا معه يقتلونه عليه السّلام . وهذا العجل صاغه السّامريّ من حُلِيّ القوم ومن الذّهب الّذى كان لديهم والّذى يقال إنّهم كانوا قد استعاروه من القبط . ولهذا العجل خوار . والخوار صوت البقر[٢] وقد يكون الصّوت بسبب دخول الهواء من دبر العجل وخروجه من فيه . وقد يكون قد تحوّل بإرادة الله تعالى عجلاً حقيقيًّا بفعل التّراب الّذى أخذه السّامريّ من حافر فرس جبريل عليه السّلام ووضعه فى فيه فإنّ أثره الحياة فيما يوضع فيه[٣] والله

---

(١) تفسير الطّبريّ ٤٣/٩ وتفسير ابن عطيّة ٨٢/٦ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٤٣/٩ وتفسير ابن كثير ٢٤٧/٢ وتفسير ابن عطيّة ٨٢/٦ .

(٣) انظر مثلاً الجلالين وتفسير ابن كثير ٢٤٧/٢ وتفسير ابن عطيّة ٨٢/٦ .

أعلم . والعجيب فى القوم أنّهم صدّقوا السّامريّ فى زعمه أنّ العجل إلـٰـههم وإلـٰـه موسى عليه السّلام الّذى نسي إلـٰـهه عندهم وذهب يطلبه ! لقد ضرب القوم أسوأ الأمثال فى الغباء وعدم الفطنة . والمعروف أنّ البقر مضرب المثل فى الغباء .

وتنكر الآية الكريمة فى أسلوب الاستفهام اتّخاذهم العجل المصنوع من الحليّ إلـٰـهًا معبودًا من دون الله تعال رغم أنّهم يرونه لا يتكلّم ولا يهديهم سبيلاً إلى الخير . فكيف يكون من تلك صفاته إلـٰـهًا . إنّ القوم اتّخذوا العجل إلـٰـهًا معبودًا من دون الله تعالى وكانوا ظالمين لأنّهم وضعوا العبادة فى غير موضعها وصرفوها عن الله تعال الّذي يستحقّها وحده جلّ وعلا لا شريك له . وليس وراء هذا الظّلم وراء . وقد أدرك القوم الخطأ الشّنيع الّذي ارتكبوه والظّلم العظيم الّذى أتوه حينما عاد موسى عليه السّلام وكانت ثورته عليه السّلام عارمةً عليهم وعلى شقيقه هارون عليه السّلام . والآية الكريمة التّالية تشير إلى محاولتهم تدارك الخطأ فإلى .

الآيــة رقــم (١٤٩)

قال تعالى : ﴿ ولمّا سُقِط فى أيديهم ورأَوْا أنّهم قَدْ ضلّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربُّنا ويغفر لنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ .

لمّا سُقِط فى أيدى بنى إسرائيل وندموا عل ما فعلوا[1] من عبادة العجل ورأوا أنّهم قد ضلّوا وتبيّنوا بعد عودة موسى عليه السّلام إليهم أنّهم قد ارتكبوا الخطأ الجسيم وأتوا الظّلم العظيم قالوا لئن لم يرحمنا ربّنا وتتداركنا رحمته جلّ وعلا الّتى

---

(١) انظر مثلاً تفسير ابن كثير ٢٤٧/٢ وتفسير الطّبريّ ٤٣/٩ وتفسير ابن عطيّة ٨٤/٦ ولسان العرب « سقط » ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « سقط » ٢٣٥ ومعانى القرآن الكريم للفرّاء ٣٩٣/١ .

وسعت كلّ شيء ولئن لم يغفر لنا ربّنا ذنبنا ويستر عيبنا لنكوننّ من القوم الخاسرين في الأولى والآخرة . وبشأن القول : ﴿ ولمّا سُقِطَ في أيديهم ﴾ جاء في تفسير ابن عطيّة[١] : « وحُدِّثت عن أبي مروان بن سراج[٢] أنّه كان يقول : قول العرب : سقط في يده ، ممّا أعياني معناه . وقال الجرجانيّ : هذا ممّا دَثَرَ استعماله مثل ما دَثَرَ استعمال قوله تعالى : فضربنا على آذانهم » ومِنَ الّذين كان لهم اجتهادٌ لطيف في هذا الميدان ابن جريرٍ الطّبريّ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً فهو يرى أنّ القول قد سُقِط في يديه وأسقط في يديه ذو علاقةٍ بالشّخص المهزوم أمام خصمه النّادم على هزيمته من ذلك الّذي رفعه ورمى به من يديه إلى الأرض . إنّ المرميّ به مسقوطٌ في يدي السّاقط به . يقول الطّبريّ[٣] : « وكذلك تقول العرب لكلّ نادمٍ على أمرٍ فات منه أو سلف وعاجزٍ عن شيءٍ : قد سُقِطَ في يديه وأُسْقِط ، لغتان فصيحتان . وأصله من الاستئسار[٤] وذلك أن يَضْرِب الرّجلُ الرّجلَ أو يصرعَه فيرمِيَ به من يديه إلى الأرض ليأسِرَه فيَكْتِفَه . فالمرميّ به مسقوطٌ في يدي السّاقط به . فقيل لكلّ عاجزٍ عن شيءٍ ومصارعٍ لعجزه متندّمٍ على ما فاته سُقِطَ في يديه وأُسْقِط » .

ونحن من جانبنا نودّ أن نرسل بدلونا ضمن الدّلاء بشأن هذا الاستعمال : « سُقِط في يديه وأسقط » الّذي دَثَرَ استعماله وجُهِل أصله . ونعتقد أنّ من أحسن الوسائل للإدلاء بالرّأي الوقوف على المحور الّذي يدورحوله الأصل اللّغويّ : « سقط » والألفاظ المشتقّة منه ، المشتملة على حروفه ، المتضمّنة معنى ذلك الأصل .

السّين والقاف والطّاء أصلٌ واحدٌ يدلّ على الوقوع ، وهو مطّرد . من ذلك سقط يسقُط سقوطًا[٥] ولمّا كان السّقوطُ اتّجاهًا من أعلى إلى أسفل من الوجهة المادّيّة أساسًا فإنّ هذا السّقوط المادّيّ لحق به سقوطٌ معنويٌّ . ويقترن النّدم بكلا

---

(١) ٨/٨٥ (٢) أحد أئمّة اللّغة بالأندلس . (هامش تفسير ابن عطيّة) .
(٣) تفسير الطّبريّ ٩/٤٣ . (٤) يقال : أسره واستأسره إذا قبض عليه وأخذه .
(٥) معجم مقاييس اللّغة : « سقط » ٣/٨٦ .

السّقوطين . ونحن حينما نقتبس من لسان العرب بعض استعمالات مشتقّات هذا الأصل وليكن السّقَط بفتح القاف مثلاً فإنّا نتبيّن كلا السّقوطين فى استعمال هذه اللّفظة المشتقّة . جاء فى اللّسان[1] : « والسَّقَط من الأشياء : ما تُسْقِطه فلا تَعْتَدُّ به من الجُنْد والقوم ونحوه .... والسَّقَط : ردىء المتاع . والسَّقَط ما أُسْقِط من الشّىء.... وأسقاط النّاس أوباشهم .... وسَقَطُ الطّعام : ما لا خير فيه منه .... وفى حديث عمر رضي الله عنه كُتِب إليه أبياتٌ فى صحيفةٍ منها :

يعقّلهنّ جَعْدةَ من سُلَيْم معيدًا ، يبتغى سَقَطَ العذارى

أي عثراتِها وزلاّتها . والعذارى : جمع عذراء .... وقد سَقَطَ من يدى وسُقِطَ فى يد الرّجل : زلّ وأخطأ ، وقيل : ندم . قال الزّجّاج : يقال للرّجل النّادم على ما فعل الحَسِر على ما فَرَط منه : قد سُقِط فى يده وأُسْقِط .... وفى التّنزيل العزيز : ولمّا سُقِط فى أيديهم . قال الفارسيّ : ضربوا بأكفّهم على أكفّهم من النّدم ، فإن صحّ ذلك فهو إذًا من السّقوط .... الفرّاء فى قوله تعالى : ولمّا سُقِط فى أيديهم ، يقال : سُقِط فى يده وأُسْقِط من النّدامة . وسُقِط أكثر وأجود[2] ... وخُبِّر فلانٌ خبرًا فَسُقِط فى يده وأُسْقِط .... والسَّقَط : الفضيحة .... وفى حديث أهل النّار : مالى لا يدخلنى إلاّ ضعفاء النّاس وسَقَطُهُم أي أراذلهم وأدوانهم » .

فى ضوء النّصوص السّابقة يصحّ أن نذهب إلى أنّ القول : سُقِط فى يده وأسقط فى يده الّذى يفيد النّدم ويدلّ على ارتكاب الخطأ كان فى الأساس ذا علاقةٍ بسَقَطِ المتاع وبهوان الشّىء الّذى تقتنصه راحة الإنسان خاصةً إذا كان كبير الهمّة ، وقديمًا قال المتنبّى[3] .

وشرّ ما قَنَصَتْه راحتى قَنَصٌ شُهْب البُزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَم

إنّ شرّ ما حصلت عليه يد الشّاعر الطّموح الّذى ينزّل نفسه منزلة البازى الأبيض

---

(١) لسان العرب : « سقط » . (٢) انظر معانى القرآن للفرّاء ١/٣٩٣ .

(٣) التّبيان فى شرح ديوان أبى الطّيّب المتنبّى لأبى البقاء العكبرى ٣/٣٧٣ .

اللّون الّذى يتخلّله السّواد ، وهو طيرٌ من الجوارح يصاد به ، وإنّ سَقَط المتاع فى عين الشّاعر العظيم ، هو ذلك الّذى يحصل عليه هو ويحصل عليه فى الوقت ذاته من لا قدر له من الشّعراء الّذين ينزّلهم الشّاعر منزلة الرّخم . والرّخم جمع رَخَمة ، وهو طائرٌ أبقع يشبه النّسر فى الخلقة . وبقدر رفعة البزاة وسموّها دناءة الرّخم وضعتها . وكأنّ القول : سُقِط فى يده وأُسْقِط فى يده ، يشير فى الأساس إلى من حصلت يده على سَقَطِ المتاع وردىء الأشياء . إنّ لمثل هذه النّتيجة السّيّئة فى النّفس الإنسانيّة شديدَ النّدم وكبيرَ الألم . وكأنّ القول فى الآية الكريمة : ﴿ ولمّا سُقِط فى أيديهم ﴾ يسير على غرار ما يجرى على ألسنة العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم . والمعروف أنّ القرآن الكريم قد استعار الكثير من الأقوال الّتى جرت على ألسنة العرب . ومن هذه الأقوال : ﴿ حِجْرًا محجورًا ﴾ فى الآيتين الكريمتين من سورة الفرقان ، الثانية والعشرين ، والثّالثة والخمسين[1] .

وإذا كان القوم الظّالمون قد أدركوا خطورة الذّنب العظيم الّذى ارتكبوه بعد عودة موسى عليه السّلام من ميقات ربّه جلّ وعلا فما حاله عليه السّلام حينما عاد ووجدهم عاكفين على عبادة العجل ؟ الجواب فى .

الآيــة رقــم (١٥٠)

قال تعالى : ﴿ ولمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أَسِفًا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربّكم ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه . قال ابن أُمَّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تُشْمِتْ بي الأعداءَ ولا تجعلنى مع القوم الظّالمين ﴾ .

أعلم الله تعالى موسى عليه السّلام بعبادة قومه العجل قبل أن يرجع عليه السّلام

---

(١) انظر كتابنا : تأمّلاتٌ فى سورة الفرقان ، ١١٠ و١٧٧ .

إلى قومه . وإلى ذلك أشار قوله تعالى من سورة طه[١] : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثَرِى وعَجِلْت إليك رَبِّ لترْضَى . قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السّامريّ . فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسِفًا . قال يا قوم ألم يَعِدْكم ربّكم وَعْدًا حسنًا . أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم فأخلفتم موعدى ﴾ ولمّا رجع موسى عليه السّلام إلى قومه بنى إسرائيل غضبا من جهتهم أسِفًا شديد الحُزْن[٢] لتورّطهم فى عبادة العجل قال عليه الصّلاة والسّلام لهم : بئس الخلافة هي الّتى خلفتمونى من بعد ذهابى إلى ميقات ربّى . بئس ، فعل ماضٍ جامد لإنشاء الذّمّ . والفاعل ضمير مستتر تقديره هي ، ما، نكرة موصوفة فى محلّ نصب تمييز للضّمير الفاعل ، أي الخلافة ، والمخصوص بالذّمّ محذوف تقديره خلافتكم[٣] وكيف لا تكون خلافة بنى إسرائيل لموسى عليه السّلام ذميمةً وهم الّذين عبدوا العجل فى أثنائها .

وينكر ﷺ فى أسلوب الاستفهام على قومه استعجالهم رجوعه عليه السّلام إليهم قبل الوقت المقدّر من الله تعالى بأن يرجع عليه السّلام فيه إلى قومه[٤] : ﴿ أعجلتم أمر ربّكم ﴾ .

وقد بلغت شدّة الغضب والحزن بموسى عليه السّلام أن ألقى ألواح التّوراة غضبًا لربّه جلّ وعلا فتكسّرت فيما يقال وأخذ بقوّة برأس شقيقه نبيّ الله تعالى هارون عليه السّلام بيده اليمنى وبلحيته عليه السّلام بيده اليسرى يجرّه بواسطة شعر الرّأس واللّحية إليه عليه السّلام : ﴿ وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ﴾ جاء فى سورة طه[٥] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ قال يا بنؤمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى

---

(١) الآيات ٨٣ - ٨٦ .

(٢) انظر الجلالين وتفسير الطّبريّ ٤٤/٩ وتفسير ابن كثير ٢٤٨/٢ .

(٣) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٧٣/٥ .

(٤) انظر هنا معاني القرآن للفرّاء ٣٩٣/١ وتفسير الطّبريّ ٤٤/٩ وتفسير ابن كثير ٢٤٨/٢ وتفسير ابن عطيّة ٨٧/٦ والبحر المحيط ٣٩٦/٤ والكشّاف ٥٧٨/١ . (٥) الآية ٩٤ .

خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ﴾ وجاء هنا قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ قال ابنَ أُمَّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تُشْمِتْ بي الأعداء ولا تجعلى مع القوم الظّالمين ﴾ .

إنّ هارون عليه السّلام يقول لشقيقه موسى عليه السّلام يا ابن أمّى وذلك بقصد إهاجة عاطفة الأخوّة تجاهه من جهة الأمّ الأشدّ من الأب فى العادة عطفًا وحنانًا ، عل رِسْلِكَ وارفق بى فإنّى لم آل جهدًا فى نصحهم ونهيهم عن عبادة العجل ولكنّ القوم استضعفونى وخاصمونى وكادوا يقتلوننى بسبب نهيهم عن عبادة العجل وتسفيه أحلامهم .

ويرتّب هارون عليه السّلام على تبيينه حقيقة موقفه من القوم طلبه من شقيقه موسى عليه السّلام ألاّ يشمت به الأعداء وذلك بإدخال السّرور عليهم من تأكيد الاستهانة به والإساءة إليه عليه السّلام بسبب قسوة موسى عليه السّلام عليه : « فلا تشمت بي الأعداء ، أي لا تسرّهم بما تفعل بى فأكون ملومًا منهم ومنك »[1] كما يرتّب هارون عليه السّلام على هذا الطّلب طلباً آخر بألاّ يجعله عليه السّلام مع القوم الظّالمين الملومين بسبب ظلمهم العبادة ووضعهم لها فى غير موضعها . إنّ هارون عليه السّلام كان ضدّ قومه عندما عبدوا العجل وإنّ موسى عليه السّلام لو استمرّ فى معاملة هارون فى هذه الطّريقة القاسية الفظّة فكأنّه عليه السّلام جعله مع القوم الظّالمين . وليس بخافٍ دور القلب فى القول : ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ﴾ وهو امتدادٌ للضّرب على وتر الأمومة فى القول : ﴿ يا ابن أمّ ﴾ ولس بخافٍ كذلك دور العقل بعد ذلك فى القول : ﴿ ولا تجعلنى مع القوم الظّالمين ﴾ .

ابن أُمَّ : منادى مبنيٌّ على الضمّ المقدّر على آخره منع من ظهوره حركة البناء الأصليّ وهو فتح الجزءين لأنّه تركيب أشبه خمسة عشر فى محلّ نصب[2] .

وكان لهارون عليه السّلام ما أراد فإلى .

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٣٩٦ . (٢) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٥/٧٣ .

الآيـــة رقـــم (١٥١)

قـال تعـالى : ﴿ قـال ربّ اغفـر لى ولأخـى وأدخلنـا فـى رحمتـك وأنـت أرحـم الرّاحمين » .

بادر موسى عليه السّلام إلى سؤال ربّه جلّ وعلا الّذى ربّاه بنعمه وآلائه والّـذى اختصّه بالكثير من النعم ، بادر إلى سؤال ربّه جلّ وعلا أن يغفر له اندفاعه نحو أخيه وتعجّله فىشأنه مع أنّ السّامريّ هو الّذى تولّـى كـبر العِجـل واتّخـاذ بنـى إسـرائيل ذلك الموقف من هارون عليه السّلام ، كما بـادر عليـه السّـلام إلى سـؤال ربّـه جـلّ وعلا أن يغفر لشقيقه هارون عليه السّلام . والمعروف أنّ من مظـاهر الخُلُق العظيـم الّذى فطر الله تعالى عليه المصطفين الأخيار التّواضع وهضم النّفس حقّهـا تمثّـيًا مـع قول الحقّ جلّ وعلا فى صفات المسارعين فـى الخـيرات السّـابقين إليهـا فـى سـورة المؤمنون[1] : ﴿ والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وَجِلَةٌ أنّهم إلى ربّهم راجعـون ﴾ إنّ قلوبهم وجلةٌ وخائفةٌ ألاّ يتقبّـل الله تعـالى أعمـالهم الصّالحـة لـذا هـم فـى أعمـاقهم يسألون الله تعالى أن يتفضّل عليهم بقبولها .

وبعد سؤال موسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا أن يغفر ذنبه وذنب شقيقه ، وهـو ما يسمَّى بالتّخلية يأتى دور التّحلية المترتّبة علـى التّخليـة وذلـك بطلـب الرّحمـة فـى القول : ﴿ وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الرّاحمين ﴾ إنّ رحمة الله تعالى تسع كلّ شىءٍ ، وإنّ موسى عليه السّلام ، وهو أحد أولى العزم من الرّسل ، يسأل ربّـه جـلّ وعلا أن يدخله هو وشقيقه فى رحمته فإنّه جلّ وعلا أرحم الرّاحمين . إنّ رحمـة الله تعالى كمًّا وكيفًا أوسع من كلّ رحمة ، وخيرٌ من كلّ رحمة .

ويتحوّل الحديث إلى الّذين اتّخذوا العجل إلـهًا فإلى .

---

(١) الآية ٦٠ .

الآيـــة رقـــم (١٥٢)

قال تعالى : ﴿ إنّ الّذين اتّخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربّهم وذِلّةٌ فى الحياة الدّنيا ، وكذلك نجزى المفترين ﴾ .

إنّ الّذين اتّخذوا العجل إلـهًا يعبدونه من دون الله تعالى وهم بنو إسرائيل قـوم موسى عليه السّلام الّذين عبـدوا العجـل فـى أثنـاء ذهـاب موسـى عليـه السّـلام إلى ميقات ربّه جلّ وعلا سينالهم غضبٌ من ربّهم جلّ وعلا ولعنةٌ وطردٌ من رحمته جلّ وذلّةٌ فى الحياة الدّنيا وهوانٌ وصغار . وكذلـك يجـزى الله تعـالى المفـترين علـى الله تعالى الكذب بنسبة الشّريك والصّاحبة والولد إليه جـلّ وعـلا . والمعـروف أنّ توبـة بنى إسرائيل إلى الله تعالى من عبادة العجل كانت بتمكين العابدين للعجل للّذيـن لم يعبدوا العجل من رقابهم كي يقتلوهم . جاء فى تفسير القرطبيّ[1] : « قـال سـفيان ابن عيينة : التّوبة نعمةٌ من الله أنعم بهـا علـى هـذه الأمّـة دون غيرهـا مـن الأمـم ، وكانت توبة بنى إسرائيل القتل . وأجمعوا علـى أنّـه لم يؤمـر كـلّ واحـدٍ مـن عبـدة العِجل بأن يقتل نفسه بيده . قال الزّهريّ : لمّا قيل لهم : فتوبـوا إلى بـارئكم فـاقتلوا أنفسكم ، قاموا صفّين وقتل بعضهـم بعضًـا ، حتّـى قيـل لهـم كفّـوا . فكـان ذلـك شهادةً للمقتول وتوبةً للحيّ »[2] ومن الآيات الكريمات الّتـى أشـارت إلى الغضـب الّذى نال القـوم والذّلّـة الّتـى ضُربـت عليهـم قـول الحـقّ جـلّ وعـلا فـى سـورة آل عمران[3] : ﴿ ضُرِبَتْ عليهم الذّلّة أينما ثُقِفـوا إلاّ بحبلٍ مـن الله وحبـلٍ مـن النّـاس وباءوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة . ذلك بأنّهم كانوا يكفـرون بآيـات الله ويقتلون الأنبياء بغير حقّ . ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون ﴾ .

والآية الكريمة التّالية تتحدّث فى باب التّوبة المفتوح على مصراعيه إلى يوم الدّين. فإلى.

---

(١) ص ٣٤٢ .

(٢) وانظر هنا دراستنا المتأمّلة للآية الكريمة فى تأمّلات فى سورة البقرة ١/٣٣١ ـ ٣٣٧ .

(٣) الآية ١١٢ .

الآيـــة رقـــم (١٥٣)

قال تعالى : ﴿ والّذين عملوا السّيّئات ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربّك من بعدها لغفورٌ رحيم ﴾ .

تتحدّث الآية الكريمة عن باب التّوبة المفتوح عل مصراعيه لأمّة الإسلام إلى يوم الدّين فتقرّر أنّ الّذين عملوا السّيّئات ثمّ تابوا من بعد عمل تلك السّيّئات إلى الله تعالى توبةً نصوحًا ، وآمنوا إيمانًا صادقًا ، فإنّ ربّك من بعد السّيّئات لغفورٌ رحيم . ويلاحظ أنّنا أمام مغفرة الذّنب أوّلا أي التّخلية ، وأمام الرّحمة بعد ذلك أي التّحلية. كما يلاحظ دور لفظ الرّبّ فى القول : ﴿ إنّ ربّك ﴾ تنبيها على نعم الله تعالى وآلائه الموصولة الّتى يربّى بها جلّ وعلا عباده . ومع أنّ الخطاب يتّجه أساسًا إلى المصطفى ﷺ فإنّه وراء ذلك يتّجه إلى كلّ فردٍ من أفراد الأمّة الإسلاميّة .

ويلاحظ حظّ الأمّة الإسلاميّة الموفور من المغفرة والرّحمة فى أثناء الحديث عن موسى عليه السّلام وبنى إسرائيل قومه ، وهذا الحظّ الموفور توطئةٌ للحظّ الموفور من الرّحمة فى حقّ الّذين يتّبعون محمّدًا ﷺ كما سيتبيّن فى آيات القسم التّالى إن شاء الله تعالى .

ويعود السّياق إلى موسى عليه السّلام الّذى طلب من ربّه جلّ وعلا المغفرة والرّحمة فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٥٤)

قال تعالى : ﴿ ولمّا سكت عن موسى الغضبُ أخذ الألواح وفى نسختها هدًى ورحمةٌ للّذين هم لربّهم يرهبون ﴾ .

كان اجتهاد الزّمخشريّ موفّقًا فى حديثه عن جملة ﴿ سكت ﴾ فى الآية الكريمة . يقول رحمه الله تعالى رحمةً واسعة[1] « ﴿ ولمّا سكت عن موسى الغضب ﴾ ، هـذا مَثَل . كأنّ الغضب كان يغريه على ما فعل ويقـول لـه : قـل لقومـك كـذا ، وألـق الألواح ، وجرّ برأس أخيك إليـك ، فـترك النّطق بذلـك وقطع الإغـراء ﴾ ويقـول البقاعيّ[2] : « ولمّا سكت ، أيْ كفّ . شبّه الغضب بمتكلّمٍ كان يحثّ موسى عليـه السّلام ويغريه على ما يوجبه ويقتضيه . فلمّا شفى غيظه سكن وقطع كلامه فخلفـه ضدّه وهو الرّضى » إنّ الغضب لمّا سكت عن موسى عليـه السّـلام وسـكن ، ولمّـا كفّ عن إغرائه وامتنع ، وحلّ الرّضا محلّ الغضب ، والسّكون محلّ الهيجـان ، أخـذ عليه السّلام بيديه ألواح التّوراة الّتى سبق أن ألقى بهـا عليـه السّـلام لشـدّة الغضـب والأسف .

إنّ فيما نُسِخ وكُتِب فى الألواح من التّوراة هدًى من الضّلالة ورحمةً للّذيـن هـم يخشون ربّهم جلّ وعلا ويخافون يوم الحساب . وكما ترتّبـت الرّحمـة مـن ذى قبـل على المغفرة ترتّبت الرّحمة هنـا علـى الهـدى . إنّ الّذيـن يجـدون الهـدى والرّحمـة فـى التّوراة هم المؤمنون بكلّ ما فيها من بنى إسرائيل . وإنّ ما يقال عن التّوراة يقال عن الإنجيل والقرآن . والمعروف أنّ القرآن الكريم المهيمن على الكتب السّـابقة ، ناسـخٌ لها ، مشتملٌ على كلّ خيرٍ مفرَّقٍ فيها ، متضمّنٌ لكلّ ما اختصّـه الله تعـالى بـه مـن زيادة فضل وخير . ولله الحمد والمنّة .

---

(١) الكشّاف ١/٥٧٩ .

(٢) نظم الدّرر ٨ / ٩٢ .

[١٧]

« توبة بنى إسرائيل من عبادة العجل ووجوب اتّباع النّاس جميعًا محمّدًا ﷺ »

الآيــات (١٥٥ ـ ١٥٨)

وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾
۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

تورّط بنو إسرائيل فى عبادة العجل فى أثناء الأربعين ليلةً الّتى ذهب فيها موسى عليه السّلام إلى ميقات ربّه جلّ وعلا ، ومع أنّ تهديد القوم الّذين أشركوا كان شديدًا فقد كان ثمّة إشارةٌ فى القسم السّابق إلى قبول الله تعالى الغفور توبة التّائبين المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات . وتبدأ أولى آيات هذا القسم بالحديث عن التّوبة فتقرّر أنّ موسى عليه السّلام الّذى كان لا يعمل إلاّ بوحيٍ من ربّه جلّ وعلا قد اختار من قومه سبعين رجلاً من الّذين لم يعبدوا العجل للوقت والأجل الّذى وعده الله تعالى أن يلقاه فيه بهم للتّوبة ممّا كان من فعل سفائهم فى أمر العجل . وحينما كانوا على جبل الطّور فى شبه جزيرة سيناء أخذتهم الزّلزلة الشّديدة فتضرّع موسى عليه السّلام إلى ربّه جلّ وعلا مناديًا فى خضوعٍ وذلّةٍ مربّيه بنعمه وآلائه جلّ وعلا سائلاً مولاه الّذى رحمهم فلم يهلكهم حينما عبد القوم العجل أن تكون الرّحمة موصولةً فلا يهلكهم جلّ وعلا وقد أتوه جلّ وعلا تائبين مستغفرين . وفى أسلوب الاستعطاف يسأل موسى عليه السّلام : ﴿ أتهلكنا بما فعل السّفهاء منّا ﴾ ؟ وإنّما كانت الزّلزلة لأنّ السّبعين الّذين لم يعبدوا العجل لم يفارقوا قومهم عابدى العجل . إنّ الفعلة الشّنيعة الّتى أتاها عابدو العجل ما هي إلاّ فتنته جلّ وعلا وبلاؤه يضلّ بها جلّ وعلا من يشاء إضلاله ويهدى من يشاء هدايته . إنّه جلّ متولّى أمور موسى عليه السّلام وكلّ حيّ . ولمّا كان محور الحديث التّوبة فقد كان ثمّة تركيزٌ منه عليه السّلام على طلب المغفرة تليها الرّحمة ، وطلبٌ أن يكتب لهم جلّ وعلا فى الحياة الدّنيا العمل الصّالح وفى الآخرة القبول ودخول جنّات النّعيم فإنّهم أتوه جلّ وعلا تائبين مستغفرين . وإنّ ربّ العزّة الّذى سبقت مغفرته غضبه يبيّن أنّ عذابه المحدود يصيب به من يشاء أمّا رحمته جلّ وعلا فإنّها تسع كلّ شيءٍ وحيّ . ويبيّن السّياق صفات الّذين يستحقّون تلك الرّحمة . إنّهم الّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة ويؤمنون

بآيات الله تعالى . إنّهم الّذين يتّبعون الرّسول محمّدًا ﷺ النّبيّ الأمّيّ الّذى يجده أهل الكتاب مكتوبًا عندهم فى التّوراة الّتى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام والإنجيل الّذى أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام . إنّه عليه السّلام يأمر أهل الكتاب الّذين اعتنقوا دين الإسلام وكلّ الّذين اتّبعوه عليه الصّلاة والسّلام ، ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتى كانت عليهم ﴾ إنّ الّذين يؤمنون به ﷺ ويوقّرونه وينصرونه ويتّبعون النّور الّذى أنزله الله تعالى معه من قرآنٍ كريمٍ وسنّةٍ نبويّةٍ مطهّرةٍ مبيّنةٍ للقرآن الكريم أولئك هم المفلحون حقًّا . وتأمر آخر آيات القسم المصطفى ﷺ أن يقول لكلّ النّاس بأنّه رسول الله تعالى إليهم جميعًا . وهكذا يتأكّد فى هذه السّورة الكريمة المكّيّة الّتى نزلت قبل الهجرة عالميّة رسالة الإسلام منذ فجرها . وتبيّن الآية الكريمة أنّ الّذى أرسل محمّدًا ﷺ هو الله تعالى الّذى له ملك السّماوات والأرض لا إله إلاّ هو الّذى يحي ويميت . إنّ على النّاس أجمعين أن يؤمنوا بالله تعالى ربًّا وبرسوله محمّد بن عبد الله ﷺ النّبيّ الأمّيّ الّذى يؤمن بالله تعالى الّذى أرسله ، وبكلامه الّذى أوحاه إليه قرآنًا كريمًا وسنةً مطهّرةً ، وأن يتّبعوه عليه الصّلاة والسّلام اتّباعًا مطلقًا لعلّهم يهتدون إلى الصّراط المستقيم .

الآيــــة رقــم (١٥٥)

قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا . فلمّا أخذتهم الرّجفة قال ربّ لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاي . أتهلكنا بما فَعَلَ السّفهاء منّا . إن هي إلاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء . أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ .

تقرّر الآية الكريمة أنّ موسى عليه السّلام الّذى لم يكن يأتى أمرًا من الأمور إلاّ

بإذنٍ منه تعالى وعلم[١] قد اختار من قومه بنى إسرائيل سبعين رجلاً من الّذين لم يعبدوا العجل وخرج بهم عليه الصّلاة والسّلام إلى طورر سيناء[٢] للوقت والأجل الّذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتّوبة ممّا كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل[٣] الّذى عبدوه من دون الله تعالى فى أثناء ذهاب موسى أربعين ليلةً إلى ميقات ربّه جلّ وعلا يناجيه جلّ وعلا إثرها . وحينما كان موسى عليه السّلام والسّبعون من قومه عليه الصّلاة والسّلام عل ظهر الجبل تائبين آيبين مستغفرين لأقوامهم الّذين عبدوا العجل أخذتهم الرّجفة القويّة ، والزّلزلة الشّديدة[٤] والاضطراب العنيف[٥] روي عن ابن عبّاس أنّ الرّجفة إنّما تناولتهم بسبب عدم مفارقة عابدى العجل وبسبب بقائهم معهم رغم عدم المشاركة فى العبادة[٦] .

ويفرّ موسى عليه السّلام إلى ربّه جلّ وعلا مربّيه بنعمه وآلائه مناديًا يا ربّ لو شئت أهلكت بنى إسرائيل من قبل وإيّاي حينما عبد السّفهاء العجل و لم يستطع شقيقى هارون عليه السّلام والّذين لم يعبدوا العجل كبح جماح عابدى العجل الّذين أغواهم السّامريّ . إنّك يا ربّى ، يا من لا تُسْأل لو أهلكت بنى إسرائيل من قبل وإيّاي لَمْ تهلكنا فى أثناء عبادة السّفهاء منّا العجل ونحن نطمع أن يكون فضلك موصولاً ورحمتك الّتى وسعتنا من قبل أن تسعنا من بعد ، فقد أتيناك الآن تائبين آيبين مستغفرين خاضعين خاشعين ذليلين . ومع أنّ موسى عليه السّلام لا علاقة له مطلقًا بعبادة قومه العجل ولكنّه الأدب الجمّ والخلق العظيم الّذى فطر الله تعالى عليه أولئك المصطفين الأخيار هو الّذى يجعل موسى عليه السّلام ، الّذى يعرف جيّدًا حدود قدر نفسه ، يضع نفسه مع المذنبين المستحقّين للهلاك لو شاء الله تعالى له ذلك .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٩/٥٠ وتفسير ابن كثير ٢/٢٤٩ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٩/٥٠ وتفسير ابن كثير ٢/٢٤٩ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٩/٥٠ .
(٤) الجلالين .
(٥) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « رجف » ١٨٩ .
(٦) انظر مثلاً تفسير الطّبرّ ٩/٥١ وتفسير ابن كثير ٢/٢٥٠ تفسير ابن عطيّة ٦/٩٤ .

وفى أسلوب الاستفهام الاستعطافيّ يسأل موسى عليه السّلام : أتهلكنا يا من لا تظلم مثقال ذرّةٍ بما فعل السّفهاء منا الحمقى المغفّلون الّذين عبدو العجل ابن البقرة مضرب المثل فى البلاهة والغباء . ما هذه الفعلة الشّنيعة الّتى فعلها قومى[1] إلاّ امتحانك واختبارك وابتلاؤك[2] تضلّ يا ربيّ بفتنتك من تشاء إضلاله بسبب إيثاره الضّلالة على الهدى ابتداءً ، وتهدى من تشاء هدايته زيادةً منك يا ربّي هدًى له على هداه . أنت يا ربّى وحدك دون سواك متولّى أمورنا وراعى مصالحنا فاغفر لنا ذنوبنا الّتى جئناك يا ربّى من أجلها تائبين مستغفرين ، وارحمنا بصرف الضّرّ عنّا ورفع السّخط عنّا ، وأنت يا ربّى خير الغافرين وأرحم الرّاحمين .

ويلاحظ فى القول على لسان موسى عليه السّلام : ﴿ ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي ﴾ مجيء لفظ الرّبّ الّذى يفيد الخصوص والتّربية بالنّعم والآلاء ممّا يعمّق معنى الدّعاء بصرف الهلاك لأنّ التّربية حياةٌ وبناء ولأنّ الهلاك موتٌ وفناء .

كما يلاحظ بالمقارنة بين القول على لسان موسى عليه السّلام هنا : ﴿ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ وبين القول فى الآية الكريمة الحادية والخمسين بعد المائة عن موسى عليه السّلام : ﴿ قال ربّ اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الرّاحمين ﴾ تركيز موسى عليه السّلام على طلب المغفرة لأنّ المجيء إلى جبل الطّور مع السّبعين رجلاً من بنى إسرائيل كان من أجل التّوبة وطلب المغفرة . أمّا فى حقّ موسى وهارون عليهما السّلام فقد كان طلب المغفرة امتدادًا لإشفاق المصطفين الأخيار الأسوة الحسنة لأقوامهم ألاّ يتقبّل الله تعالى أعمالهم الصّالحة لذا فإنّهم يبدأون بالطّلب الضّروريّ وهو طلب المغفرة . ووراء ذلك فإنّ موسى عليه السّلام يركّز على طلب أرحم الرّاحمين أن يدخله هو وشيقه هارون عليهما السّلام فى رحمته جلّ وعلا الواسعة الّتى تسع كلّ شيء وتشمل كلّ حيّ . إنّ جوّ الطّاعة

---

(١) انظر تفسير الطّبريّ ٩/٥٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٥٠ والجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح ١/١٥ .

الغالب جعل الكلام يتّجه إلى طلب الرّحمة بدرجةٍ أكبر وإنّ جوّ التّوبة الغالب جعل الكلام يتّجه إلى طلب المغفرة بدرجةٍ أكبر . والله تعالى أعلم .

وبعد التّخلية الّتى تركّز على طلب المغفرة الّتى تعقبها الرّحمة تأتى التّحلية الّتى يواصل معها موسى عليه السّلام دعاء ربّه جلّ وعلا خير الغافرين فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٥٦)

قال تعالى : ﴿ واكتب لنا فى هذه الدّنيا حسنةً وفى الآخرة إنّا هدنا إليك . قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كلّ شيءٍ فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ .

يستمرّ موسى عليه السّلام فى ذلك الموقف العصيب فوق جبل الطّور الّذى يضطرب بإرادة الله تعالى تحت أقدامه عليه السّلام ومن معه يدعو ربّه جلّ وعلا سائلاً الله تعالى أن يكتب لهم ويوجب ويثبت[1] فى هذه الدّنيا حسنةً وفى هذه الحياة الأولى أعمالاً صالحةً يوفّقهم جلّ وعلا للقيام بها ، وأن يكتب لهم ويوجب فى الآخرة حسنةً بأن يغفر لهم جلّ وعلا ذنوبهم ويستر عيوبهم ويقبل توبتهم وأعمالهم الصّالحة الّتى وفّقهم جلّ وعلا للقيام بها وتفضّل عليهم فقبلها وأثابهم عليها وأدخلهم جنّاتٍ تجرى من تحتها الأنهار . ولمّا كان الهدف الّذى جاء من أجله موسى عليه السّلام ومن معه التّوبة النّصوح لله تعالى ولمّا كان المحور الّذى يدور حوله الحديث طلب المغفرة فإنّ موسى عليه السّلام يعود إلى ذلك الهدف أو المحور فى القول : ﴿ إنّا هدنا إليك ﴾ والمعنى إنّا تبنا إليك يا ربّنا[2] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ لفظ اليهود ذو علاقةٍ بجملة : ﴿ إنّا هدنا إليك ﴾ عن علىٍّ عليه السّلام قال : إنّما سمّيت اليهود لأنّهم قالوا ﴿ هدنا إليك ﴾[3] .

---

(١) انظر مثلاً تفسير ابن كثير ٢/٢٥٠ . (٢ و٣) تفسير الطّبريّ ٩/٥٤ .

ولّما كان دعاء موسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا متعلّقًا بطلب مغفرة الذّنوب ، وبالطّمع فى رحمة البرّ الرّحيم الّذى وسعت رحمته كل شىء ، ولّما كان ربّ العزّة : ﴿ لا يُسْأل عمّا يفعل وهم يُسْألون ﴾[1] فمن شاء الله تعالى عذابه عذّبه بعدله ، ومن شاء أن يغفر له غفر له بفضله وشملته رحمة الله تعالى كان فى الآية الكريمة بعد ذلك ما يشير إلى كلٍّ من العدل والفضل . قال عزّ من قائل : ﴿ قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كلّ شىء ﴾ .

ومن البيّن أنّه بالمقارنة بين الحديث المحدود عن العذاب والحديث الواسع عن الرّحمة الواسعة يتبيّن العذاب المحدود الّذى يصيب به الله تعالى من يشاء من عباده كما يتبيّن رحمة الله تعالى الواسعة الّتى تسع كلّ شىء ومن باب الأَوْلى والأحرى أن تشمل كلّ حيّ ، وفى مقدّمة من تشملهم الرّحمة وتسعهم المصطفون الأخيار والمؤمنون من أتباعهم عليهم صلوات الله تعالى وسلامه .

وتعيّن الآية الكريمة صفات أولئك الّذين تشملهم رحمة الله تعالى الواسعة . قال تعالى : ﴿ فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ .

وحينما تبيّن الآية الكريمة التّالية أنّ الّذين يستحقّون رحمة الله تعالى من الّذين تتحقّق فيهم هذه النّعوت هم الّذين يتّبعون خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ نستطيع أن ننظر إلى هذه النّعوت الثّلاثة من زاويتين اثنتين ، من زاوية موسى عليه السّلام ومن زاوية خير الأنام محمّد بن عبد الله ﷺ .

إنّ التّقوى فى أولى مراحلها فى مجال المعنويّات بمنزل الوقاية فى مجال المحسوسات. فكما يتّقى الإنسان حرّ النّار مثلاً بوقايةٍ من قُماشٍ أو نحوه ، يتّقى نار الآخرة بطاعة الله تعالى وفعل الأوامر واجتناب النّواهي . ويظلّ المتّقى يتحوّل من إحدى درجات سلّم التّقوى إلى درجةٍ أخرى ، مروراً بأركان الإسلام الخمسة ، فأركان الإيمان السّتّة ، علمًا بأنّ أركان الإسلام والإيمان متداخلة ، حتّى يصل المتّقى إلى رفيع

---

(١) سورة الأنبياء ٢٣ .

درجات التّقوى ، إلى درجة الإحسان ذى الرّكن الواحد الّذى بيّنه المصطفى ﷺ بأن تعبد الله تعالى كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[١] .

وإنّ إيتاء الزّكاة يمكن أن ينظر إليه من زاوية التّزكية والطّهارة للنّفس والنّماء والبركة للمال[٢] وقد قال عزّ من قائل[٣] : ﴿ خذ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكنٌ لهم . والله سميعٌ عليم ﴾ ويقال : زكا الزّرع يزكو إذا حصل منه نموٌّ وبركة[٤] ويمكن أن يُنْظَرَ إلى إيتاء الزّكاة من زاوية الرّكن الثّالث من أركان الإسلام وهو إيتاء الزّكاة لمستحقّيها من الأصناف الثّمانية الّذين نصّت عليهم هذه الآية الكريمة من سورة التّوبة[٥] قال تعال : ﴿ إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفةِ قلوبُهُمْ وفى الرّقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السّبيل فريضةً من الله. والله عليمٌ حكيم ﴾.

وإنّ الإيمان بآيات الله تعالى يشمل الآيات البيّنات الّتى خصّ الله تعالى بها موسى عليه السّلام ، وهي آيات التّوراة ، كما يشمل الإيمان بآيات الله تعالى البيّنات الموحى بها إلى خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ . والمعروف أنّ دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به محمّد بن عبد الله ﷺ ناسخٌ لكلّ دينٍ سواه ، ابتداءً باليهوديّة دين موسى عليه السّلام والنّصرانيّة دين عيسى عليه السّلام . ومن الأدلّة على ذلك أنّ الآية الكريمة التّالية تبيّن حقيقة المتّقين الّذين يؤتون الزّكاة ويؤمنون بآيات الله تعالى البيّنات . إنّهم الّذين يتّبعون خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ الرّسول النّبيّ الأمّيّ فإلى .

---

(١) صحيح البخاريّ ١ / ٢٠ .
(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « زكا » ٢١٣ .
(٣) سورة التّوبة ١٠٣ .
(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « زكا » ٢١٣ .
(٥) الآية ٦٠ .

الآيـــة رقـــم (١٥٧)

قال تعالى : ﴿ الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّباتِ ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتى كانت عليهم . فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذى أُنْزِل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .

تعيّن الآية الكريمة نعوت المؤمنين المتّقين المطبّقين لتعاليم الإسلام الّذين يستحقّون رحمة الله تعالى الّتى وسعت كلّ شيءٍ وكلّ وحيّ . إنّ أهمّ صفةٍ فى هؤلاء المتّقين صفة الاتّباع لا الابتداع . نتبيّن هذه الصّفة فى القول : ﴿ الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ ﴾ . وفى القول : ﴿ فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذى أُنْزِل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .

وإنّ أولئك المؤمنين المتّقين الّذين يستحقّون رحمة الله تعالى الواسعة هم الّذين يتّبعون محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين . وحينما نتبيّن أنّ الحديث المتعلّق بموسى عليه السّلام والسّبعين رجلاً من بنى إسرائيل وقد أخذتهم الرّجفة فوق جبل الطّور يتحوّل من موسى عليه السّلام إلى محمّد بن عبد الله ﷺ نكون بصدد دليلٍ من القرآن الكريم يضاف إلى الأدلّة الكُثْر على أنّ دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به محمّد بن عبد الله ﷺ ناسخٌ لليهوديّة والنّصرانيّة ومن باب الأولى سواهما من الأديان غير السّماويّة .

ألسنا بصدد التّنبيه إلى حصر استحقاق رحمة البرّ الرّحيم من بين أهل الكتاب فى الّذين يتّبعون محمّد بن عبد الله ﷺ ﴿ الرّسولَ النّبيّ الأمّيّ الّذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التّوراة والإنجيل ﴾ ؟ بلى . وحينما يكتب الله تعالى الرّحمة ويوجبها للّذين يتّبعون محمّدًا ﷺ من اليهود والنّصارى وهم أتباع موسى وعيسى عليهما

السّلام وأتباع دينين سماويّين فمن باب الأحْرى والأولى أن ينسحب هذا الإيجاب على غيرهم من أتباع الدّيانات غير السّماويّة . وكأنّنا الآن أمام تعبيرٍ غير مباشرٍ بأنّ رسالة المصطفى ﷺ عالميّةٌ منذ فجرها ، وكأنّ هذا التّعبير غير المباشر توطئةٌ للتّعبير المباشر فى الآية الكريمة التّالية من هذه السّورة المكّيّة الكريمة .

وبشأن نعوت المصطفى ﷺ يكون ترتيبٌ لها من جهة أسماها وأسناها . والمعروف أنّ أعظم نعمةٍ يمتنّ الله تعالى بها على واحدٍ من المصطفين الأخيار نعمة الرّسالة ، تليها نعمة النّبوّة الّتى تعتبر الطّريق الوحيد المؤدّى إلى نعمة الرّسالة الكبرى، ومن هنا كان كلّ رسولٍ نبيًّا ولا ينعكس . وإنّ هذه الآية الكريمة من سورة النّساء[1] : ﴿ ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين . وحَسُن أولئك رفيقًا ﴾ تجمع بين المنعم عليهم ابتداءً بالنّبيّين ، كما تجمع بين طاعة الله تعالى أوّلاً وطاعة الرّسول بعد ذلك ممّا يُفْهَم معه أنّ حظّ المرسلين من الإنعام والفضل من الله تعالى عليهم أكبر من حظّ المنعم عليهم فى الآية الكريمة بعد ذلك ابتداءً بالنّبيّين .

والآية الكريمة فى ذكر نعوت المصطفى ﷺ تتحوّل من عظمى الصّفات وهي الرّسالة إلى الّتى تليها وهي صفة النّبوّة ، إلى الصّفة الّتى تليها . قال تعالى : ﴿ الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ ﴾ . والأمّيّ هو الّذى لا يقرأ ولا يكتب فهو كحاله حينما ولدته أمّه . وحينما ينعم الله تعالى على ذلك الرّسول النّبيّ الأمّيّ بنعمة العلم من بين نعم الله تعالى الّتى لا تحصى عليه ﷺ بحيث إنّه عليه الصّلاة والسّلام معلّم الإنسانيّة بحقّ نكون يقينًا أمام معجزةٍ من أكبر معجزاته ﷺ وأمام نعمةٍ من أكبر نعم الله تعالى عليه . إنّ هذه النّعمة ندركها حينما نتبيّن أنّ المصطفى ﷺ أمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وقد بعثه الله تعالى فى أمّةٍ أمّيّةٍ لا تقرأ ولا تكتب وقد قال تعالى

---

(١) الآية ٦٩ .

خطابًا للمصطفى ﷺ فى سورة العنكبوت[1] : ﴿ وما كنت تتلو مِنْ قبله من كتابٍ ولا تخطّه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ وإنّ معجزة أمّيّة المصطفى ﷺ قد نبّه على عظمتها نصّ الآية الكريمة عليها بعد النّصّ على نعمتي الرّسالة والنّبوّة .

ولّما كانت رسالة المصطفى ﷺ عالميّةً منذ فجرها وكان حديث الآيات الكريمات موصولاً بدعاء موسى عليه السّلام ربَّه جلّ وعلا الّذى بيّن لموسى عليه السّلام أنّ رحمته جلّ وعلا سوف يكتبها لأتباع محمّد بن عبد الله ﷺ فقد تحوّل الحديث عن نعوته ﷺ الّتى يجب أن يتحلّى بها المستحقّون لرحمة الله تعالى إلى شرط الاتّباع له ﷺ من قِبَل اليهود والنّصارى الّذين يجدونه ﷺ مكتوبًا عندهم فى التّوراة الّتى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام والإنجيل الّذى أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام . والمعروف أنّ اليهود يتّبعون موسى عليه السّلام وأنّ النّصارى يتّبعون عيسى عليه السّلام . وحينما تكون رحمة الله تعالى واجبةً بإذن الله تعالى للّذين يتّبعون محمّدًا ﷺ من أتباع الرّسولين الكريمين موسى وعيسى عليهما السّلام فمن باب الأحرى والأولى أن يتّبع غير أتباع هذين الرّسولين الكريمين والدّينين السّماويّين محمّدًا ﷺ كي تجب لهم بإذن الله تعالى رحمة البرّ الرّحيم الواسعة .

وتواصل الآية الكريمة ذكر نعوت المصطفى ﷺ الّذى يجده اليهود والنّصارى مكتوبًا عندهم فى التّوراة والإنجيل . إنّه عليه الصّلاة والسّلام يأمر أهل الكتاب كما يأمر سواهم بالمعروف شرعًا وعقلاً ابتداءً بتوحيد الله تعالى وإفراده جلّ وعلا بالعبادة ، وينهاهم عن المنكر شرعًا وعقلاً ابتداءً بالشّرك . كما أنّه ﷺ يحلّ لهم ولسواهم الطّيّبات من الأطعمة . فعلى سبيل المثال يحلّ عليه الصّلاة والسّلام للعرب ما حرّموه من الأنعام دون وجه حقّ وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى[2] : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكنّ الّذين كفروا يفترون على الله

---

(١) الآية ٤٨ . (٢) سورة المائدة ١٠٣ .

الكذبَ وأكثرهم لا يعقلون ﴾ كما أنّه عليه الصّلاة والسّلام يحرّم على أهل الكتاب وعلى سواهم الخبائث من الأطعمة والأشربة كلحم الخنزير والرّبا والخمر وما فى حكمها .

إنّ منطلق الحديث عن نعوت المصطفى ﷺ دعاء موسى عليه السّلام ، كبير أنبياء بنى إسرائيل ، ربّه جلّ علا أن يرفع عنهم سخطه . وإنّ بنى إسرائيل قد حرّموا على أنفسهم بعض الطّيّبات وقد نزلت التّوراة بتأييد ذلك التّحريم وتأكيده وبالتّشديد على بنى إسرائيل الّذين شدّدوا على أنفسهم[1] وإنّ عيسى عليه السّلام قد جاء على لسانه خطابًا لبنى إسرائيل قول الحقّ جلّ وعلا فى سورة آل عمران[2]: ﴿ ومصدِّقًا لما بين يديّ من التّوراة ولأحلّ لكم بعضَ الّذى حُرِّم عليكم. وجئتكم بآيةٍ من ربّكم فاتّقوا الله وأطيعون ﴾ ولمّا كان ربّ العزّة قد بعث محمّدًا ﷺ بالحنيفيّة السّمحة وكان ربّ العزّة قد جعل أمّته ﷺ أمّةً سطًا فقد نصّت الآية الكريمة على هذا النّعت فيه عليه الصّلاة والسّلام : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتى كانت عليهم ﴾ والإصر : الثّقل[3] والحمل الثّقيل . والأغلال جمع غُلّ وهو نوعٌ من القيود ينفرد من بينها بكونه يجمع بطبعه بين اليدين والعنق معًا . وحينما يُذْكَر الغُلّ يتبادر إلى الذّهن اليدان والعنق . وحينما يُذكر العنق ـ مثلاً ـ مع الغُلّ تُذْكر اليد ضمنًا ، وحينما تذكر اليد صراحةً مع الغلّ يُذْكر العنق ضمنًا . ومن الآيات الكريمات الّتى ذكرت العناصر الثّلاثة معًا ، اليد والغلّ والعنق هذه الآية الكريمة من سورة الإسراء[4] قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ .

وبشأن الإصر بمعنى الحمل الثّقيل يجىء القول : ﴿ ويضع عنهم إصرهم ﴾ وكأنّ الحمل الثّقيل موضوعٌ فعلاً على ظهور بنى إسرائيل وذلك كقتل النّفس فى التّوبة على نحو ما مرّ بنا بشأن توبة عابدى العجل وكقطع أثر النّجاسة[5] وكأنّ المصطفى

---

(١) انظر مثلاً دراستنا للآية الكريمة ٩٣ من سورة آل عمران فى : تأمّلات فى سورة آل عمران ٢٧٩ ـ ٢٨٢ (٢) الآية ٥٠ . (٣) الجلالين (٤) الآية ٢٩ . (٥) انظر الجلالين

ﷺ هو الّذى يضع عن بنى إسرائيل إصرهم بحنيفيّته السّمحة الّتى فيها اليُسْر لا العُسْر والتّبشير لا التّنفير .

وكما يضع المصطفى ﷺ عن أتباعه المسلمين من أهل الكتاب وسواهم الأحمال الثّقال يضع عنهم الأغلال . قال تعالى : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال الّتى كانت عليهم ﴾ ويلفت النّظر بشأن هذا القول حرف الجرّ « على » الّذى يفيد الاستعلاء وذلك فى القول : ﴿ والأغلال الّتى كانت عليهم ﴾ والمعروف أنّ الغُلّ يوضع أساسًا فى اليد الّتى يشدّ الغلّ إليها العنق شدًّا . وقد جرت عادة التّعبير عن القيود والأغلال أن يشير إلى فكّها وحلّها ، كما جرت عادة التّعبير عن الأحمال الثّقال أن يشير إلى وضعها وإسقاطها . فلماذا تمّ العدول عن فكّ الأغلال إلى وضع الأغلال الّتى على القوم ؟ تمّ العدول لأنّ الأغلال هنا أغلالٌ معنويّةٌ وليست حسّيّة . ومن سمات الأغلال المعنويّة أن يكون عبئها ثقيلاً ولهذا كان الحديث عنها من جنس الحديث عن وضع الأثقال قبلها بجامع الثّقل بين الأحمال والأغلال ، خاصّةً وقد عرفنا أنّ الأحمال هنا أو الأثقال معنويّة ، فكذلك الأغلال .

والآية الكريمة تنصّ على الصّفات الّتى ينبغى توافرها فى الأتباع كي يكونوا مفلحين بإذن الله تعالى وناجحين . وأولى هذه الصّفات أن يؤمنوا به ﷺ رسولاً من ربّ العالمين فعليهم أن يطيعوه عليه الصّلاة والسّلام طاعةً مطلقةً فيما أمر عليه الصّلاة والسّلام ونهى عنه وقد قال عزّ من قائل[1] ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول. فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ ويترتّب على الإيمان به ﷺ رسولاً من ربّ العالمين تعظيمه وتوقيره عليه الصّلاة والسّلام فذلك معنى القول: ﴿ وعزّروه ﴾[2] ومن البيّن أنّ التّعظيم والتّوقير أمران معنويّان أساسًا متعلّقان بالتّعظيم فى الصّدور والتّوقير فى النّفوس ، ومن ثمّ فإنّ السّياق يتجاوز هذه المرحلة المعنويّة غالبًا

---

(١) سورة التّغابن ١٢

(٢) انظر تفسير الطّبريّ ٥٨/٩ وتفسير ابن كثير ٢٥٤/٢ .

إلى المرحلة التّالية العمليّة الّتى يتجسّد معها ذلك التّوقير واقعًا محسوسًا وذلك فى القول: ﴿ فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه ﴾ ونصر رسول الله ﷺ عمليًّا يكون بكلّ الوسائل الممكنة ومنها اللّسان والسّنان والنّفس والنّفيس . وإنّ دعامتي هذا النّوع من نصر الله تعالى ونصر رسوله ﷺ النّفس والمال ، وقد جاء فى سورة التّوبة[1] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة . يقاتِلون فى سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وعدًا عليه حقًّا فى التّوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الّذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وإنّما يكون الإيمان به ﷺ وتوقيره ونصره على هدًى من نور الله تعالى الّذى أنزله الله تعالى مع هذا الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ﷺ وذلك فى هيئة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة ، لأنّ كلاًّ منهما موحًى به من ربّ العالمين . ﴿ فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ .

وممّا يلفت الانتباه هنا النّصّ على الاتّباع الّذى لفت انتباهنا فى صدر الآية الكريمة فى القول : ﴿ الّذين يتّبعون الرّسول ... ﴾ إنّ المطلوب من النّاس أجمعين أن يتّبعوا المصطفى ﷺ الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذى لا ينطق عن الهوى والّذى أوحى إليه جلّ وعلا بالقرآن الكريم وبالسّنّة النّبويّة المطهّرة المبيّنة للقرآن الكريم . إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل مع المصطفى ﷺ نوره المبين قرآنًا كريمًا وسنّةً نبويّةً مطهّرة، وإنّ الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا دين الإسلام الّذى رضيه لنا وأتمّ به النّعمة علينا ، فعلى النّاس جميعًا مطلق الاتّباع لا الابتداع ، لأنّ الابتداع فى الدّين معناه أنّ ثمّة نقصًا فى الدّين أو زيادة ، أو هكذا يتوهّم المبتدعون . وليس فى الدّين سوى الكمال وقد قال فى هذا المعنى عزّ من قائل فى سورة المائدة[2] ﴿ اليوم أكملت

---

(١) الآية ١١١ . (٢) الآية ٣ .

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وقال تعالى[1] : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّباتِ ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا . إنّ الله لا يحبّ المعتدين ﴾ .

إنّ ثمرّة الإيمان بالمصطفى ﷺ وتوقيره ونصره واتّباع النّور الّذى أنزل الله تعالى معه دون زيادةٍ أو نقصان هو الفلاح والنّجاح فى الأولى والآخرة .

وإذا كانت عالميّة دعوة المصطفى ﷺ مفهومةً ضمنًا فى الآية الكريمة فإنّ تلك العالميّة مصرّحٌ بها ومعلنٌ عنها فى الآية الكريمة التّالية فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٥٨)

قال تعالى : ﴿ قل يا أيّها النّاس إنّى رسول الله إليكم جميعًا الّذى له ملك السّماوات والأرض لا إلـه إلاّ هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأمّيّ الّذى يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ .

يأمر ربّ العزّة حبيبه المصطفى ﷺ أن يقول للنّاس أجمعين ، وفيهم أهل الكتاب، بأنّه عليه الصّلاة والسّلام رسول الله تعالى إلى النّاس جميعًا فعليهم أن يكونوا مسلمين لله ربّ العالمين متّبعين له ﷺ ومن أمّة خير الأنام عليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام . ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تنصّ على أنّ المصطفى ﷺ رسول ربّ العالمين . وقد عرفنا أنّ نعمة الرّسالة كبرى نعم الله تعالى على عبدٍ من عباده جلّ وعلا تليها نعمة النّبوّة .

وإنّه بالنّظر إلى بقيّة الآية الكريمة يتبيّن أنّها تفسيرٌ للقول على لسان المصطفى ﷺ: ﴿ إنّى رسول الله إليكم ﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الّذى أرسل حبيبه محمّدًا ﷺ إلى النّاس فعليهم إن يتّبعوه عليه الصّلاة السّلام لأنّ ذلك وحده الدّليل على الإيمان بالله تعالى ربًّا وبمحمّد ﷺ رسولاً .

---

(١) سورة المائة ٨٧ .

وإنّ الحكمة من ذكر الحياة والموت إذا كانت مفهومةً ضمنًا فإنّها مصرّحٌ بها بعد ذلك فى القول : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأمّيّ الّذى يؤمن بـا لله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ .

إنّ المطلوب من النّاس جميعًا أن يؤمنوا بالله تعالى ربًّا ، وأن يؤمنوا بمحمّد بن عبد الله ﷺ رسولاً ، وأن يتّبعوا هذا الرّسول الكريم الّذى يؤمن بـا لله تعالى ربًّا ويؤمن بكلمات الله تعالى الموحى بها إليه ﷺ قرآنًا كريمًا وسنّةً نبويّةً مطهّرة . والمعروف أنّ هذا الموحى به إليه ﷺ هو النّور الّذى أنزله الله تعالى معه عليه الصّلاة والسّلام على نحو ما بيّنت الآية الكريمة السّابقة . والمعروف أنّ الأمر باتّباعه عليه الصّلاة والسّلام فى هذه الآية الكريمة قد سبقه فى الآية الكريمة السّابقة توجيهان اثنان بالاتّباع . فعلى النّاس جميعًا أن يتّبعوا محمّدًا ﷺ وعليهم جميعًا ألاّ يبتدعوا فقد أكمل الله تعالى الدّين ورضيه لنا وأتمّ به النّعمة علينا .

وإنّ الّذين تتحقّق فيهم تلك النّعوت وفى مقدّمتها الاتّباع لا الابتداع لعلّهم يهتدون إلى الطّريق القويم والطّريق المستقيم . إنّ هدى التّوفيق لا يملكه إلاّ الله تعالى فعلى المؤمنين جميعًا أن يسألوا الله تعالى أن يثبّتهم على المحجّة البيضاء وأن يتفضّل بقبول أعمالهم الصّالحة الّتى أرادوا بها وجهه الأعلى جلّ وعلا . وإنّ من ألطف ما ينبغى أن يدعُوا به فى هذا المعنى قوله عزّ من قائل فى سورة الفاتحة[1] : ﴿ اهدنا الصّراط المستقيم . صراط الّذين أنعمت عليهم غيرِ المغضوب عليهم ولا الضّالّين ﴾ آمين .

إنّ ربّ العالمين الّذى أرسل محمّد بن عبد الله ﷺ هو الله تعالى الّذى له ملك السّماوات والأرض ومن فيهنّ وما فيهنّ . ومعروفٌ أنّ خلق السّماوات والأرض أكبر من خلق النّاس بنصّ القرآن الكريم[2] وهو الله تعالى الّذى لا إلـه إلاّ هو والّذى يحيى ويميت . ومن البيّن أنّ القول : ﴿ الّذى له ملك السّماوات والأرض ﴾

---

(١) الآية ٦ و٧ .

(٢) سورة غافر ٥٧ .

يتعلّق فى المقام الأوّل بالسّماوات والأرض وهي جماد ، ويدخل فى السّماوات والأرض ما فيهنّ ومن فيهنّ تبعًا على نحو ما تبيّن . وممّن فى الأرض جنس الإنسان. ومن البيّن كذلك أنّ القول : ﴿ لا إلـه إلاّ هو يحي ويميت ﴾ يتعلّق فى المقام الأوّل بجنس الإنسان ، أي بالنّاس الّذين أُمر عليه الصّلاة والسّلام فى أوّل الآية الكريمة أنّ يناديهم ويخاطبهم . وفيما يتعلّق بالسّماوات والأرض يشير السّياق إلى ملك الله تعالى لهما . وفيما يتعلّق بجنس الإنسان يشير السّياق إلى عجيبتين تتعلّقان بالإنسان هما الحياة والموت . وفى هاتين العجيبتين ووجوب التّفكّر فيهما وعمل النّافع الصّالح فى ضوء التّفكّر جاء فى أوّل سورة المُلْك[1] قولُه تعالى : ﴿ تبارك الّذى بيده الملك وهو على كلّ شيءٍ قدير . الّذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ ومن البيّن أنّ أولى الآيتين الكريمتين تتحدّث فى الملك والقدرة ، وأنّ أخراهما تتحدّث فى الموت والحياة فعلى النّاس أن يحسنوا العمل فى ضوء تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين .

وإنّ من ألطف ما ينبغى التّنويه به كذلك فى الآية الكريمة أسلوب الالتفات . فبعد أن كان ثمّة تعبيرٌ مباشرٌ من المصطفى ﷺ بأنّه رسول الله تعالى الّذى له ملك السّماوات والأرض والّذى يحيى ويميت كان ثمّة أمرٌ للنّاس بالإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ فالتفاتٌ إلى المصطفى وحديثٌ عن نعوته عليه الصّلاة والسّلام فى أسلوب الغائب ، فهو بالإضافة إلى كونه رسول ربّ العالمين نبيٌّ وأمّيّ ويؤمن بالله تعالى ربًّا ويؤمن بكلمات الله تعالى الّتى أوحاها جلّ وعلا إليه وفى مقدّمتها القرآن الكريم . إنّ الإنسان حال الالتفات يقول إنّ الإنصاف يقتضى اتّباع الرّجل الّذى اصطفاه الله تعالى بتلك النعوت وخصّه بتلك الصّفات . ولمّا كانت تلك النّعم من نصيب المصطفى ﷺ فعلى النّاس جميعًا أن يتّبعوا هذا الرّسول الكريم الأسوة الحسنة للنّاس جميعًا[2] .

---

(١) الآيـــة ١ و٢ .

(٢) انظر هنا المثل السّائر لابن الأثير ٢/١٩٢ .

[١٨]

« من بنى إسرائيل عادلون وظالمون »

الآيـــات (١٥٩ ـ ١٦٢)

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

حينما ذهب موسى عليه السّلام لميقات ربّه جلّ وعلا عبد بعض قومه العجل ثمّ ذهب عليه السّلام فى سبعين رجلاً من بين الّذين لم يعبدوا العجل إلى جبل الطّور ليعتذروا من عبادة قومهم العجل ، وبذلك نكون أمام فريقين من بنى إسرائيل فريق الضّالّين وفريق المهتدين . ويواصل السّياق الحديث عن هذين الفريقين فيقرّر أنّ من قوم موسى عليه السّلام جماعةً مهتديةً تهتدى بالحقّ وتهدى الآخرين به وتعدل بالحقّ لها أو عليها . وقد قطّع الله تعالى بنى إسرائيل اثنتي عشرة أسباطًا أممًا . والأسباط بمعنى القبائل جمع السِّبط بمعنى القبيلة وهؤلاء الأسباط الاثنا عشر هم فى الأساس أولاد يعقوب عليه السّلام الاثنا عشر وفيهم يوسف عليه السّلام . ويعقوب عليه السّلام هو إسرائيل . وحينما كان بنو إسرائيل فى التّيه بشبه جزيرة سيناء واشتدّت حاجة بنى إسرائيل للماء وشكوا حالهم لموسى عليه السّلام دعا ربّه جلّ وعلا الّذى أوحى إليه بأن يضرب بعصاه الحجر كي تنبجس منه اثنتا عشرة عينًا انبجاسًا خفيفًا يتحوّل بعدها الانبجاس انفجارًا عنيفًا وقد علم كلّ أناسٍ من الأسباط موضع شربهم وحصولهم على الماء . وحينما اشتدّت عليهم حرارة الشّمس ظلّل الله تعالى عليهم الغمام . وحينما احتاجوا الطّعام أنزل الله تعالى عليهم المنّ وهي صمغةٌ أبيض من الثّلج وأحلى من العسل تنزل على الشّجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس وحشر عليهم بفعل الرّيح السّلوى وهي طائر السُّمانّى كي يأخذوا ما يكفيهم . والمعروف أنّ بنى إسرائيل لم يصبروا على هذه النّعم ولم يقوموا بواجب شكرها ولم يصبروا على الطّعام الواحد حسب زعمهم وطلبوا البقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل وكفروا بأنعم الله تعالى وظلموا أنفسهم . وطُلب من القوم أن يسكنوا القرية أو الأرض المقدّسة بعد أن يدخلوها بقيادة يوشع بن نون عليه السّلام وأن يأكلوا منها حيث شاءوا وأن يدعوا الله تعالى أن يحطّ ذنوبهم وأن

يدخلوا باب القرية ساجدين كي يغفر الله تعالى خطاياهم ويزيد المحسنين من فضله جلّ وعلا فبدّل الظّالمون منهم القول والفعل فأخذهم العذاب بظلمهم . وكان الحديث عن القوم مستعملاً ضمير الغائبين متمشّيًا مع السّور المكّيّة الّتى تتحدّث عن بنى إسرائيل الغائبين آنذاك عن مكّة المكرّمة .

الآيـــة رقـــم (١٥٩)

قال تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمّةٌ يهدون بالحقّ وبه يعدلون ﴾

تبيّن الآية الكريمة أنّ من بنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام أمّةً وجماعةً يهدون بإذن الله تعالى الآخرين بالحقّ . وحينما يوفّق الله تعالى قومًا لهداية الآخرين بالحقّ فذلك معناه أنّهم أساسًا ، بفضلٍ من الله تعالى ونعمة ،مهتدون . وهؤلاء الّذين يهدون بالحقّ يعدلون به فهم يُنْصفون الآخرين من أنفسهم وينتصفون من الآخرين بالحقّ وبالعَدْل .

وتجاه الفظائع الّتى يرتكبها بنو إسرائيل اليوم فى حقّ المسلمين من ناحية وحقّ الإنسانيّة من ناحيةٍ أخرى يسأل الإنسان : أين هذه الأمّة من بنى إسرائيل ؟ أم أنّها مضت كأمس الدّابر .

وحينما يكون ثمّة أمّةٌ من بنى إسرائيل منصفة فذلك معناه أنّ ثمّة أمّةً أخرى ظالمةً وجائرة . وإنّ انقسام بنى إسرائيل فريقين رشّح لحديث الآية الكريمة التّالية عن تقطيع الله تعالى بنى إسرائيل اثنتي عشرة أسباطًا أممًا فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٦٠)

قـال تعـالى : ﴿ وقطّعنـاهم اثنـتي عشـرة أسـباطًا أممًـا . وأوحينـا إلى موسـى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا قد علـم كـلّ أناسٍ مشربهم . وظلّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسّلوى . كلوا من طيّبـات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

الـواو مـن : ﴿ وقطّعنـاهم ﴾ استئافيّة . « قطّعنـا » : فعـل مـاضٍ مبـنيّ علـى السّكون. و« نا » ضمير فـاعل و« هـم » : ضمـير مفعـولٌ بـه . ﴿ اثنـتي ﴾ حـال منصوبة من ضمير الغائب فى ﴿ قطّعناهم ﴾ وعلامة النّصب الياء . و: ﴿ عشرة ﴾ جزءٌ عدديّ لا محلّ له . و ﴿ أسباطًا ﴾ بدل مـن ﴿ اثنـتي ﴾ عشـرة منصـوب مثلـه ﴿ أممًا ﴾ بدل من ﴿ أسباطًا ﴾ منصوب مثله أو نعت له[١] .

الأسباط بمعنى القبائل فى بنـى إسـرائيل . وجمـع الأسـباط السّـبط بكسـر السّـين بمعنى ولد الولد[٢] والسّبط : الجماعة والقبيلة الرّاجعون إلى أصلٍ واحـد[٣] والسّـبط فى بنى إسرائيل بمنزلـة القبيلـة فـى ولـد إسمـاعيل[٤] والأسـباط : ولـد يعقـوب عليـه السّلام . وهم اثنا عشر ولدًا ، ولد لكلّ واحدٍ مهم أمّةٌ من النّاس واحدهم سِـبط[٥] وليعقوب عليه السّلام اسم آخر هو إسرائيل . ويعقوب هو ابن إسحاق بـن إبراهيـم عليهم السّلام . والمعروف أنّ كلّ أنبياء بنى إسرائيل من ذرّيّـة إسـحاق بـن إبراهيـم عليهما السّلام وأنّ محمّـد بن عبد الله ﷺ هو النّبيّ الوحيـد من ذرّيّة إسماعيل بـن إبراهيم عليهما السّلام .

---

(١) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨٩/٥ وانظر الجلالين .

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانيّ : « سبط » ٢٢٢ .

(٣) تفسير القرطبيّ ٥٢٦ .

(٤) تفسير القرطبيّ ٥٢٥ .

(٥) تفسير القرطبيّ ٥٢٥ .

إنّ الآية الكريمة تقرّر أنّ ربّ العزّة قطّع بنى إسرائيل اثنتى عشرة أسباطًا أي جماعةً وقبيلةً أوّل الأمر ، أممًا بعد ذلك ، كلُّ أمّةٍ مستقلّةٌ وقائمةٌ برأسها . وحينما كان بنو إسرائيل قوم موسى عليه السّلام فى التّيه فى شبه جزية سَيْناء بسبب جبنهم عن دخول مدينة الجبّارين وعصيانهم أمر موسى عليه السّلام بدخول المدينة وحينما اشتدّت حاجة القوم للماء استسقوا موسى عليه السّلام فدعا ربّه جلّ وعلا فأوحى إليه أن اضرب بعصاك الحجر . وقد يكون الحَجَرَ الّذى فرّ بثوبه فالألف والّلام للعهد ، وقد يكون أيّ حجر فالألف والّلام للجنس . وفى كلتا الحالتين يكون انبجاس الماء وخروجه أوّل الأمر خفيفًا معجزةً لموسى فكيف إذا خرج من الحجر الّذى ضربه موسى عليه السّلام ضربةً واحدةً اثنتا عشرة عينًا بعدد الأسباط من بنى إسرائيل أي الجماعات والقبائل . وإذا كان خروج الماء أوّل أمره فى هيئة الانبجاس الخفيف فإنّه يخرج بعد ذلك كثيرًا فى هيئة الانفجار العنيف . وإلى هذه المرحلة التّالية أشارت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة[1] قال تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كلّ أناسٍ مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثَوْا فى الأرض مفسدين ﴾ ومن البيّن وجه الشّبه بين الآيتين الكريمتين . وبشأن الأسباط الاثني عشر قد علم كلُّ سبطٍ موضع شربه . وحينما نتبيّن أنّنا بصدد اثنتي عشرة عينًا ينبجس من كلٍّ منها الماء فى أوّل أمره خفيفًا يتحوّل بع ذلك الانبجاس انفجارًا عنيفًا كي تستطيع أن تحصل كلّ قبيلةٍ من بنى إسرائيل على ما تحتاج إليه من الماء يصحّ أن يحملنا ذلك على الظّنّ بأنّ الحجر الّذى يضربه موسى عليه السّلام بحاجةٍ إلى أن يكون كبيرًا كي يتّسع لاثنتي عشرة عينًا من ناحية ، وكي يتيح للاثنتي عشرة قبيلةً أن تنال بيسرٍ وسهولةٍ حظّها من الماء من ناحيةٍ أخرى . ويصحّ بناءً على ذلك أن نظنّ أن انفعال ذلك الحجر بإرادة الله تعالى لضرب موسى عليه السّلام له بعصاه متعلّقٌ بكون

---

(١) الآية ٦٠ وانظر تأمّلات فى سورة البقرة للمؤلف ١/٣٥٥ - ٣٦٢ .

العصا تكاد تكون معجزة موسى عليه السّلام الكبرى . وربّما كانت هذه النّظرة مؤيّدةً للقول بأنّ ال للجنس بمعنى أنّ موسى عليه السّلام يستطيع أن يضرب أيّ حجرٍ بعصاه كي ينبجس بإرادة الله تعالى الماء ثمّ ينفجر وليس من الضّروريّ أن يكون الضّرب لحجرٍ بعينه . والله تعالى أعلم .

ومع أنّ الماء ملطّفٌ للحرارة فإنّه لا يمنع أشعّة الشّمس ، خاصّةً إذا كان ثمّة انتقالٌ وسفر . ولهذا حينما اشتّدت حرارة الشّمس على بنى إسرائيل فى التّيه بين الشّام ومصر وشكوا حرّ الشّمس[١] ظلّل الله سبحانه وتعالى عليهم الغمام وجعل السّحاب[٢] عليهم كالظُّلّة[٣] بسبب ما يحصل تحتها من الظّلّ[٤] .

ولّما كان الطّعام قرين الشّراب وقد تحقّق الماء دون عناء فقد تحقّق بفضل الله تعالى الطّعام للقوم دون عناءٍ أيضاً . قال تعالى : ﴿ وأنزلنا عليهم المنّ والسّلْوى ﴾ والمنّ صمغةٌ حلوةٌ أحلى من الشُّهْد وأبيض من الثّلج يسقط على الشّجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس[٥] والسّلْوَى : طائر السُّمانَى[٦] واختلف فى السّلوى هل هو جمعٌ أو مفرد[٧] وكان ربّ العزّة يبعث ريح الجنوب فتحشر عليهم السّلوى وهي السُّمانى فيذبح الرّجل منها ما يكفيه[٨] .

ولّما كان المنّ ضربًا من الحلوى ، وكان السّلوى ضربًا من الطّعام فقد أمر الله تعالى بنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام أن يأكلوا ممّا رزقهم الله تعالى دون تعبٍ ولا نصب .

وكما كان وجه الشّبه كبيرًا بين الآية الكريمة والآية الكريمة السّتّين من سورة

---

(١) البحر المحيط ١/٢١٤ وانظر تفسير ابن كثير ١/٩٤ .
(٢) البحر المحيط ١/٢٠٥ . (٣) تفسير القرطبيّ ٣٤٦ .
(٤) البحر المحيط ١ / ٢٠٥ .
(٥) انظر هنا البحر المحيط ١/٢١٤ وتفسير القرطبيّ ١/٢٣٣ وتفسير ابن كثير ١/٩٥ .
(٦) انظر تفسير ابن كثير ١/٩٦ وتفسير القرطبيّ ٣٤٧ .
(٧) انظر تفسير القرطبيّ ٣٤٨ . (٨) الكشّاف ١/ ٢١٧ .

البقرة كان وجه الشّبه كبيرًا بين الآية الكريمة والآية الكريمة السّابعة والخمسين من سورة البقرة . قال تعالى[1] : ﴿ وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى . كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ إنّ بنى إسرائيل بكفران النّعم وارتكاب المعاصى إنّما ظلموا أنفسهم لأنّ الوبال عائدٌ عليهم.

وفى مجال المقارنة بين الآية الكريم من سورة الأعراف والآية الكريمة السّتّين من سورة البقرة لابن كثيرٍ ملاحظةٌ طريفةٌ تنسحب كذلك على الآية الكريمة السّابعة والخمسين من سورة البقرة . يقول رحمه الله تعالى رحمةً واسعة[2] : « وهذه القصّة شبيهةٌ بالقصّة الّتى فى سورة الأعراف ولكن تلك مكّيّة ، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب لأنّ الله تعالى يقصّ على رسوله ﷺ ما فعل بهم . وأمّا فى هذه السّورة وهي البقرة فهي مدنيّةٌ فلهذا كان الخطاب فيها متوجّهًا إليهم . وأخبر هناك بقوله : فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا . وهو أوّل الانفجار . وأخبر ههنا بما آل إليه الحال آخرًا وهو الانفجار . فناسب ذكر الانفجار ههنا وذاك هناك . والله أعلم ».

وتواصل الآية الكريمة التّالية ذكر نعم الله تعالى على بنى إسرائيل فإلى .

الآيــة رقــم (١٦١)

قال تعالى : ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّةٌ وادخلوا الباب سجّدًا نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسنين ﴾ .

وجه الشّبه كبيرٌ بين هذه الآية الكريمة والآية الكريمة الثّامنة والخمسين من سورة البقرة . قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا

---

(١) انظر هنا تأمّلات فى سورة البقرة ١/٣٤٢ - ٣٤٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٠٠ فى حديثه عن آية سورة البقرة .

وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّةٌ نغفر لكم خطاياكم . وسنزيد المحسنين ﴾ وسبق لنا أن درسنا آية سورة البقرة[١] الكريمة .

ولا نزال مع ضمير الغائبين بشأن آية سورة الأعراف . والمعنى واذكر يا محمّد إذ قيل لبنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام بعد أن لقي كلٌّ من هارون وموسى عليهما السّلام على التّوالى ربّهما جلّ وعلا فى التّيه الّذى استمرّ أربعين سنةً بنصّ القرآن الكريم اسكنوا هذه القرية أو الأرض المقدّسة بعد أن تدخلوها بإذن الله تعالى بقيادة يوشع بن نون عليه السّلام فتى موسى عليه السّلام وقد أكرمه الله تعالى بالنّبوّة وبعثه عزّ وجلّ خليفةً عن موسى بن عمران عليه السّلام . والمعروف أنّ قوم موسى عليه السّلام جبنوا عن خول مدينة الجبّارين أو الأرض المقدّسة رغم بشارة موسى عليه السّلام لهم بالنّصر بمجرّد الدّخول على الجبّارين ورغم حثّ الرّجلين اللّذين أنعم الله تعالى عليهما بنى إسرائيل على التّوكّل على الله تعالى والدّخول على الجبّارين باب المدينة . وأحد هذين الرّجلين فيما يقال يوشع بن نون فتى موسى عليه السّلام وقد عرفنا أنّ ربّ العزّة قد أكرمه بعد ذلك بنعمة النّبوّة[٢] وأنّه أكرمه ربّه جلّ وعلا بقيادة بنى إسرائيل ودخول الأرض المقدّسة أو القرية بمعنى المدينة[٣] .

ويفهم من القول : ﴿ اسكنوا هذه القرية ﴾ أنّ دخول القرية حتميّ بإرادة الله تعالى لأنّ السّكن فى المدينة يتمّ بعد فتحها ، كما يفهم من القول : ﴿ وكلوا منها حيث شئتم ﴾ أنّ بنى إسرائيل يستطيعون بعد أن يفتحوا المدينة ويسكنوها أن يأكلوا منها حيث شاءوا وفى أيّ مكانٍ منها حلّوا . وكفاء نعمة الفتح العظيمة يؤمر بنو إسرائيل حينما يدخلون باب المدينة أن يكونوا الغاية فى الشّكر لله تعالى والآية فى التّواضع بأن يقولوا : ﴿ حطّة ﴾ وأن يسألوا الله تعالى أن يحطّ عنهم

---

(١) انظر تأمّلات فى سورة البقرة ١/٣٤٨ ـ ٣٥٤ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٨ وتفسير الطّبريّ ٦/١١٢ و١١٣ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٦/١١٧ وتفسير ابن كثير ٢/٤٠ .

ذنوبهم ويغفر لهم سّيئاتهم ، والمعنى : مسألتنا أن تحطّ ذنوبنا . كما يؤمر بنو إسرائيل أن يدخلوا باب المدينة منحنين لله تعالى فى هيئة الرّكوع الّتى عبّر عنها بالسّجود . ويعدهم الله تعالى إن هم فعلوا ذلك أن يغفر لهم خطيئاتهم وأن يزيد المحسنين منهم من واسع فضله . ولم يقم بنو إسرائيل بما أمرهم الله تعالى أن يقوموا به فإلى .

الآيـــة رقـــم (١٦٢)

قال تعالى : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا منهم قولاً غير الّذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السّماء بما كانوا يظلمون ﴾ .

إنّ بنى إسرائيل الّذين يوصفون بأنّهم ظالمون بدّلوا كلاًّ من القول والفعل فأرسل الله تعالى عليهم عذابًا من السّماء بما كانوا يظلمون . وإذا كانت الآية الكريمة قد نصّت على أنّ القوم قد بدّلوا القول فإنّ السّنّة النّبويّة المطهّرة بيّنت ما قال القوم ونصّت على تبديل القوم الفعل الّذى طلب منهم . روى البخاريّ فى صحيحه[١] عن أبى هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّةٌ نغفر لكم خطاياكم فبدّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبّةٌ فى شَعَرة . وروى مسلمٌ الحديث فى صحيحه[٢] وفيه : « فبدّلوا فدخلوا الباب يزحفون عل أستاههم وقالوا حبّةٌ فى شَعَرة » وفى هذا المعنى يقول ابن كثير[٣] : « وحاصل ما ذكره المفسّرون وما دلّ عليه السّياق أنّهم بدّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل فأمروا أن يدخلوا سجّدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم من قِبَل أستاههم رافعى رءوسهم ، وأمروا أن يقولوا حطّة ، أي احطط عنّا ذنوبنا وخطايانا فاستهزأوا فقالوا حنطةٌ فى شعيرة وهذا فى غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته » .

---

(١) ٦/٧٥ . (٢) ١٨/١٥٢ . (٣) تفسير ابن كثير ١/١٩٩ .

ولّما كان وجه الشّبه كبيرًا بين الآيتين الكريمتين الأخيرتين وبين الآيتين الكريمتين الثّامنة والخمسين والتّاسعة والخمسين من سورة البقرة فإنّا نودّ أن نبيّن فى هيئة نقاط أوجه الشّبه والاختلاف الواضحة بين الآيات الكريمات . ونبدأ بذكر الآيات الكريمات أوّلاً . وبما أنّ سورة الأعراف مكّيّة نزلت قبل الهجرة وسورة البقرة مدنيّة نزلت بعد الهجرة فإنّنا نذكر آيتي سورة الأعراف أوّلاً . قال تعالى : ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّةٌ وادخلوا الباب سجّدًا نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسنين . فبدّل الّذين ظلموا منهم قولاً غير الّذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السّماء بما كانوا يظلمون ﴾ وهاتان هما آيتا سورة البقرة. قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّةٌ نغفر لكم خطاياكم . وسنزيد المحسنين . فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذى قيل لهم فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزًا من السّماء بما كانوا يفسقون ﴾ .

وهذه نقاط الشّبه والاختلاف .

أوّلاً: سورة الأعراف المكّيّة الّتى تتحدّث عن بنى إسرائيل غير الموجودين فى البيئة المكّيّة يجىء فى صدر آيتها الأولى ضمير الغائبين وذلك فى القول : ﴿ وإذ قيل لهم﴾ على حين يجىء فى صدر آية سورة البقرة المدنيّة ـــ علمًا بأنّ اليهود يعيشون فى منطقة المدينة المنوّرة ـ القول : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا ﴾ ومع أنّ الخطاب يتّجه أساسًا إلى أسلاف اليهود فإنّ أسلوب الخطاب يكثر استعماله فى آي الذّكر الحكيم فى الحديث عن أسلاف اليهود بسبب قوّة الشّبه فى الصّفات والنّوايا بين السّلف والخلف .

ثانيًا : يجىء بشأن آية سورة الأعراف الأمر بالسّكنى وبالأكل وذلك فى القول: ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم ﴾ على حين جاء فى آية سورة البقرة الأمر بالدّخول وبالأكل وذلك فى القول : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه

القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا ﴾ والمعروف أنّ الأمور الثّلاثة تتمّ وفق هذا التّرتيب ، دخول فسكنى فأكل . إنّ آية سورة الأعراف تمّ بشأنها تجاوز عمليّة الدّخول ، وإنّ آية سورة البقرة تمّ بشأنها تجاوز عمليّة السُّكنى . ومعروفٌ أنّ عمليّة الدّخول الّتى لم تشر إليها آية سورة الأعراف تدلّ عليها عمليّة السُّكنى ، وأنّ عمليّة السّكنى الّتى لم تشر إليها آية سورة البقرة تدلّ عليها عمليّة الأكل الرّغد بمعنى الكثير الواسع الّذى لا حَجْر فيه . وكأنّ آية سورة الأعراف جمعت بين العمليّتين الثّانية والثّالثة ، السُّكنى والأكل ، وكأنّ آية سورة البقرة جمعت بين العمليّتين الأولى والثّالثة ، الدّخول والأكل .

ثالثًا آية سورة البقرة الّتى تجمع بين الدّخول والأكل تبدأ فيها جملة الأمر بالأكل بحرف العطف « الفاء » الّذى يدلّ على التّرتيب مع التعقيب ، والّذى يدلّ على أنّ ما قبل الفاء سببٌ فيما بعدها ، وأنّ ما بعد الفاء مسبّب عمّا قبلها : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا ﴾ وكأنّ الأكل حيث شاءوا من القرية رغدًا هو الغاية من الدّخول ، وكأنّ الدّخول سببٌ أو وسيلةٌ للأكل الرّغد ، وقد عرفنا أنّ الأكل الرّغد يعنى ضمنًا أنّ عمليّة السُّكنى السّابقة قد تمّت . أمّا آية سورة الأعراف الّتى تجاوزت عمليّة الدّخول الّتى قلنا إنّها بمثابة السّبب أو الوسيلة واتّجهت إلى الغاية أو الهدف فإنّها جاء فيها العطف بالواو والّتى تدلّ على مطلق الجمع وقد تدلّ على التّرتيب كما هو الحال هنا . قال تعالى : ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم ﴾ إنّ عمليّتي السُّكنى والأكل بمثابة المسبّب عن سبب الدّخول أو بمثابة الهدف أو الغاية وقد دلّت واو العطف هنا على تلك الغاية .

رابعًا : جاء فى آية سورة الأعراف القول : ﴿ وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّةٌ وادخلوا الباب سجّدا ﴾ وجاء فى آية سورة البقرة القول : ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة ﴾ لقد جاء فى الآيتين

الكريمتين الأمر بالأكل فى موضعٍ واحدٍ فى حين تقدّم فى آية سورة الأعراف الدّعاء بحطّ الذّنوب وتأخّر الأمر بدخول الباب سجّدًا ، بينما حدث العكس فى آية سور البقرة . ونحن حينما ننظر إلى آية سورة البقرة فى القول : ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة ﴾ نتبيّن أنّ لظاهرة تلاؤم الأصوات بين القول : ﴿ رغدًا ﴾ و﴿ سجّدًا ﴾ دورها فى قرب موضع اللّفظة الأخرى من الأولى وأثرها الجميل فى الأذن وفى النّفس معا . ونحن حينما ننظر إلى المعانى الثّلاثة الأكل الرّغد ودخول الباب سجّدًا والدّعاء بحطّ الذّنوب ، يصحّ أن نفهم أنّ ترتيب هذه المعانى الثّلاثة يصحّ أن يكون وفق التّرتيب التّالى : دخول باب المدينة سجّدا ، والدّعاء بحطّ الذّنوب ، والأكل من القرية . وكأنّ آية سورة البقرة حقّقت أمرين اثنين فى هذا القول : ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة ﴾ الأمر الأوّل الجمال الصّوتيّ فى القول : ﴿ رغدًا ﴾ و﴿ سجّدًا ﴾ والأمر الآخر ترتيب العمليّتين وفق حدوثهما فى القول : ﴿ وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة ﴾ وبشأن آية سورة الأعراف يقول البقاعيّ[1] : « ولمّا خلت نعمة الأكل فى هذا السّياق عمّا دعا إليه سياق البقرة من التّعقيب وهو الاستعطاف ، ذكرت بالواو الدّالّة على مطلق الجمع وهي لا تنافي تلك فقال : وكلوا منها ، أي القرية ، حيث شئتم . وأسقط الرّغد لذلك . وقدّم : وقولوا حطّة ، ليكون أوّل قارعٍ للسّمع ممّا أمِروا به من العبادة مشعرًا بعظيم ما تحمّلوه من الآثام ، إيذانًا بما سيقت له هذه القصص فى هذه السّورة من المقام . ولمّا أمروا بالحطّة قولاً أمروا أن يشفعوها بفعل ، لتحطّ عنهم ذنوبهم . و ينافى التّقديم هنا التّأخير فى البقرة لأنّ الواو لا ترتّب فقال : ﴿ وادخلوا الباب ﴾ » .

خامسًا : حينما نقارن بين القول فى آية سورة الأعراف : ﴿ نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسنين ﴾ وبين القول فى آية سورة البقرة : ﴿ نغفر لك

---

(١) نظم الدّرر ٨/١٣٥ .

خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ نتبيّن أنّ الزّيادة فى مبنى القول فى آية سورة الأعراف: ﴿ خطيئاتكم ﴾ يقابله زيادة الواو فى آية سورة البقرة فى القول : ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ ومن البيّن أنّنا بصدد القول من سورة الأعراف : ﴿ وقولوا حطّةٌ وادخلوا الباب سجّدا نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسنين ﴾ أمام ما يسمّى فى البلاغة بالفصل وكأنّه بعد الحصول على المغفرة بفضل الله تعالى ثمرةً للدّعاء الصّادق المستجاب ثمّةَ المزيد من فضل الله تعالى ثمرةَ المزيد من التّرقّى فى عمل الصّالحات حتّى بلوغ درجة الإحسان . وكأنّ بداية الخير الّتى تمثّلت فى الدّعاء والاستجابة تَعْنى أنّ البداية لها نهاية ، وأنّ السّلّم بين البداية والنّهاية درجات ، وأنّ هذه الدّرجات مفهومةٌ ضمنًا فينبغى الاجتهاد فى عمل الصّالحات . ولكلّ مجتهدٍ نصيب. وكأنّ القول المنفصل : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ جوابٌ لسؤال عن ثمرة مواصلة السّير فى هذا الطّريق الصّحيح والنّهج المليح . ومن البيّن كذلك أنّنا بصدد القول من سورة البقرة : ﴿ وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّةٌ نغفر لكم خطاياكم . وسنزيد المحسنين﴾ أمام ما يسمّى فى البلاغة بالوصل الّذى يكون بواو العطف الّتى تدلّ على مطلق الجمع والّتى يجتهد الذّهن فى البحث عن الحكمة من الوصل أو العطف بها . وكأنّ مجىء الواو هنا يختصر الطّريق على السّائل ويخبره بأنّ مواصلة السّير فى الطّريق الصّحيح تفضى إلى النّتيجة المليحة بشأن كلٍّ من العامل والعمل والثّواب . إنّ العامل محسن . وإنّ العمل قد ارتقى إلى مرتبة الإحسان . وإنّ ثواب الإحسان الّذى يأتى عقب الإسلام والإيمان ينبغى أن يكون بإذن الله تعالى متمشّيًا مع معنى الإحسان كما بيّنه الحديث النّبويّ الشّريف بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

فإذا تحوّلنا إلى محاولة تبيين وجه الشّبه بين الآيتين الكريمتين فى سورة الأعراف وسورة البقرة تبيّنّا أنّ وجه الشّبه كبيرٌ بين الآيتين الكريمتين ، ونستطيع بناءً على هذا الشّبه الكبير أن نحصر حديثنا فى نواحى الاختلاف بين الآيتين الكريمتين وهي قليل .

جاء فى آية سور الأعراف القول : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا منهم قولاً غير الّذى قيل لهم ﴾ وجاء فى آية سورة البقرة القول : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذى قيل لهم ﴾ ومن البيّن أنّ آية سورة الأعراف تزيد بالجارّ والمجرور : ﴿ منهم ﴾ وللجارّ والمجرور هنا أكثر من فائدة فهما يدلاّن مثلاً على أنّ الظّالمين من القوم وليسوا من غيرهم انضمّوا إليهم ولحقوا بهم وهما يدلاّن كذلك على أنّ القوم ليسوا كلّهم ظالمين ، وكأنّ الجارّ والمجرور هنا يعمّقان معنى الآية الكريمة الّتى ابتدأ بها القِسْم . قال تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمّةٌ يهدون بالحقّ وبه يَعْدِلون ﴾ .

وجاء فى آية سورة الأعراف القول : ﴿ فأرسلنا عليهم رجزًا من السّماء ﴾ على حين جاء فى آية سورة البقرة القول : ﴿ فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزًا من السّماء﴾ والمعروف أنّ الإرسال محدّد الهدف وكأنّ القول : ﴿ فأرسلنا عليهم ﴾ فيه إرسالٌ للعذاب على الظّالمين الّذين تعيّن الاتّجاه إليهم بالجارّ والمجرور : ﴿ منهم ﴾ وهكذا يكون ثمّة تجانسٌ معنويٌّ بين القول : ﴿ فأرسلنا ﴾ وبين الجارّ والمجرور : ﴿ منهم ﴾ وهذا التّجانس محوره تحديد الظالمين فى الجارّ والمجرور ﴿ منهم ﴾ وتحديد غاية العذاب فى القول : ﴿ فأرسلنا ﴾ كما يكون ثمّة تجانسٌ لفظيّ بسبب مجىء الجارّ والمجرور في موضعين فى الآية الكريمة: ﴿ منهم ﴾ و﴿ عليهم ﴾.

فإذا تحوّلنا إلى آية سورة البقرة تبيّنّا أنّه يجىء فيها مرّتين اثنتين هذا القول : ﴿ الّذين ظلموا ﴾ ومن البيّن أنّ هذا القول فيه عموم . جاء فى المرّة الأولى : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذى قيل لهم ﴾ وقد جانس هذا العموم تكرار القول: ﴿ الّذين ظلموا ﴾ من ناحية ، ومجىء جملة : ﴿ فأنزلنا ﴾ الّتى تعنى مطلق الإنزال وعمومه من ناحيةٍ أخرى : ﴿ فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزًا من السّماء ﴾.

فإذا نظرنا إلى نهاية كلٍّ من الآيتين الكريمتين تبيّنّا أنّ آية سورة الأعراف جاء فيها القول : ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ وسبق أن جاءت الإشارة إلى الظّلم مرّةً واحدة

وذلك فى صدر آية الكريمة : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا منهم قولاً غير الّذى قيل لهم ﴾ وبذلك يكون الحديث عن الظّلم قد جاء فى الآية الكريمة مرّتين اثنتين . فإذا تحوّلنا إلى نهاية سورة البقرة تبيّنّا أنّها جاء فيها القول : ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ فثمّة وصفٌ للظّالمين بأنّهم فاسقون خارجون عن الصّراط المستقيم . فإذا نظرنا وراء ذلك إلى الآية الكريمة تبيّنّا أنّها جاء فى أثنائها الحديث الصّريح عن الظّلم فى موضعين اثنين كآية سورة الأعراف . قال تعالى : ﴿ فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذى قيل لهم فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزًا من السّماء بما كانوا يفسقون ﴾ .